



المجلد 2، الجزء 16 - أسبوع 4، ديسمبر 2008

إصدارات شبكة العلوم النفسية العربية

النص البشري في سوائه وإضرابه

... قراءة من منظور تطوري

برونيسلاف ليخاوي

الفهرس

- الإثنين 01-12-2008:
 3501 458- يوم إبداعى الشخصى حوار مع الله (2)
- الثلاثاء 02-12-2008:
 3503 459- حالات وأحوال: كهل "عرجى" يعلمنا
- الإربعاء 03-12-2008:
 3512 460- الحلقة الثانية: العلاقة بالموضوع
 والقدرات المعرفية (2)
- الخميس 04-12-2008:
 3533 461- أحلام فترة النقاهة "نص على نص"
- الجمعة 05-12-2008:
 3535 462- حوار/بريد الجمعة
- السبت 06-12-2008:
 3554 463- عن "القرار" ودعمه، بين الإرادة
 والمعلومات 1-3
- الأحد 07-12-2008:
 3556 464- التدريب عن بعد: الإشراف على
 العلاج النفسى (25)
- الإثنين 08-12-2008:
 3566 465- يوم إبداعى الشخصى حوار مع الله (3)
- الثلاثاء 09-12-2008:
 3568 466- ما زال عم عبد الغفار يعلمنا: (1-3)
- الإربعاء 10-12-2008:
 3583 467- ما زال عم عبد الغفار يعلمنا: (2-3)
- الخميس 11-12-2008:
 3592 468- أحلام فترة النقاهة "نص على نص"
- الجمعة 12-12-2008:
 3594 469- حوار/بريد الجمعة
- السبت 13-12-2008:
 3610 470- نجيب محفوظ: بداية بلا نهاية
- الأحد 14-12-2008:
 3612 471- التدريب عن بعد: الإشراف على
 العلاج النفسى (26)

- الإثنين 15-12-2008:
 3617 472- يوم إبداعي الشخصي: مقال في
 قصة، قصة في مقال
 الثلاثاء 16-12-2008:
 3622 473- عن الخزي، والقهر، والذنب،
 والاحترام (1 من 2)
 الأربعاء 17-12-2008:
 3633 474- عن الخزي، والقهر، والذنب،
 والاحترام (2 من 3 أو 4)
 الخميس 18-12-2008:
 3655 475- أحلام فترة النقاهاة "نص على نص"
 الجمعة 19-12-2008:
 3656 476- حوار/ بريد الجمعة
 السبت 20-12-2008:
 3677 477- "لأمر ما" باعت المرأة سمسا مقشورا
 بسمسم غير مقشور!!
 الأحد 21-12-2008:
 3679 478- أزمة وجود فردي؟ أم حل مشكلة
 اجتماعية اقتصادية؟
 الإثنين 22-12-2008:
 3684 479- الخداء الطائر، والبصقة العالمية،
 ومسئولية الفرحة!!
 الثلاثاء 22-12-2008:
 3686 480- رب ضارة نافعة (1 من 2)
 الأربعاء 23-12-2008:
 3690 481- رب ضارة نافعة (2 من 2)
 الخميس 24-12-2008:
 3700 482- أحلام فترة النقاهاة "نص على نص"
 الجمعة 25-12-2008:
 3702 483- حوار/ بريد الجمعة
 السبت 26-12-2008:
 3717 484- الخداء الطائر، والبصقة العالمية،
 ومسئولية الفرحة!!!
 الأحد 27-12-2008:
 3719 485- التدريب عن بعد: الإشراف على
 العلاج النفسي (28)
 الإثنين 28-12-2008:
 3724 486- يوم إبداعي الشخصي الذراع والحزام
 الثلاثاء 30-12-2008:
 3729 487- عن الخزي، والقهر، والذنب، والاحترام
 (3 من 4)
 الأربعاء 31-12-2008:
 3738 488- عن الخزي، والقهر، والذنب، والاحترام
 (4 من 4)

الإثنين 22-12-2008

479- الحذاء الطائر، والبصقة العالمية، ومسئولية الفرحة !!

لا أستطيع أن أخفي فرحة مشاركة بهذا الحذاء الطائر، فرحة خالطتها فورا غصة رافضة لهذه الفرحة، ثم لحق هذا وذاك تأمل حرج مؤلم. صدق أو لا تصدق أنني لم أشاهد هذا المنظر على شاشات التليفزيون حتى الآن، ولعل عزوف ذلك كان مقصودا من داخل، حتى لا أجزجُر إلى مشاركة في فرحة مشبوهة لست راضيا عنها، صحيح أنني طلبت من البعض أن يرسل لي اللقطة إلكترونيا لأشاهدها متأنيا بطريقتي التي شاهدت بها أوباما راقصا مع المذيعة الأمريكية وهي تصحبه إلى كرسي في لقاء تليفزيوني، وأنتى التقطت من تلك اللحظة الراقصة لهذا النوب الأمريكي الرشيق أكثر مما وصلني من كل تصريحاته، وكان يمكن أن ألتقط من وجه بوش أكثر من تعبيرات فردتى الحذاء وهما تتلاحقان باصقة عليه، هكذا سمحت لخيالي أن يصور المنظر، وسوف أكتفى بالتعليق الموجز على بعض لقطات من صفح اليوم الذى أكتب فيه هذه اليومية: الجمعة 19 الجارى.

الرصين الرزين فهى هويدى بدأ مقاله اليوم (وهو تكملة لمقال أمس) هكذا: "أصعب ما قرأت في التقارير الصحفية التي تابعت حدث قذف الرئيس بوش بالحذاء، أن جهات التحقيق شغلت بالبحث عن حالته النفسية والعقلية، ..إلخ". شاركته رفضه تماما، فكم نبهت إلى الإهانات والجهل والغباء وسوء الاستعمال التي تتناول بها ما يشاع من معلومات متعلقة بتخصمي، من أول حادث بنى مزار حتى مقتل نادين وهبة. بالله عليكم: أيهما أحق بفحص قواه العقلية؟ القاذف أم المقذوف؟ بل إننى أرفض ابتداء تبرير القتل والإبادة، أو حتى الخروج عن العرف والتقاليد، بلصق أسماء أو سمات أمراض مرضى عليها، فأنا أحترم مرضى وأعلم أنهم أرق وأنبل من قسوة هذا المقذوف المسخ البشع، قاتل الملايين من الأبرياء في ديارهم، وهو يزعم أنه يعلمهم ألف باء الكرامة والحريية، هذا الشاب الغاضب تقمص كل ناس الأرض في لحظة فارقة، فاض به فأرسل بصقة في صورة حذاء على هذا المتبلد الذي أضحك العالم بغياته القاتل ثمانى سنوات، ضحكا أكثر إيلاما من كل بكاء، ، ثم ها هو لا يججل أن يعتذر-وهو يغادرنا- بنفس الغباء، وكأنه نادل يعتذر لزبون لسع لسانه بجساء ساخن.

ومع أنني فهمت غضب هويدى القاسى، إلا أنني توقفت عند قوله : "...ولا أخفى شعورا بالقرف والرثاء إزاء الذين انتقدوا ما جرى" ثم حدّد ذلك: "... في العالمين العربي والإسلامى...إخ"، الرثاء جائز، أما القرف يا أستاذ فهى فهو غير جائز، ثم إن الفرحة لم تكن قاصرة على العالم العربي والإسلامى، أنا لم أميز -مثلا- فرحة إسلامية أو عربية في الصورة المنشورة بالوفد اليوم عن: "...مظاهرة بالشموع أمام القنصلية الأمريكية في لاهور...". الصورة تتصدرها فتاتان جميلتان، تحملان صورة الزيدى بيد، وشعور جميلة أيضا بالأخرى، توقفت عند مغزى الشموع، و وجهى و عيون الفتاتين الجميلتين، وتصورت أن هذا المنظر الرقيق هو ترجمة لموقف عالمي آمل وراء الفرحة بمعنى هذا الخفاء الطائر، إنه تعبير عن الرفض الساخر لكل القتل السفلة الأغبياء، جنبا إلى جنب مع التلويح بأمل واعد (الشموع) لإنارة الوعي البشرى كله من خلال هذه الرسائل، العالم كله يعلن احتقاره لهذه السنوات الدموية التي قادها هذا الغي المتبلد، لكنه يضيء الشموع تحملها هذه الوجوه الجميلة، تعبير وصلني أبلغ ألف مرة من صورة "الوقف بالأحذية للتضامن مع الصحفي العراقي أمام نقابة الصحفيين عندنا".

أختم هذا التعليق المؤقت مضطرا، بذكرى صورتين حداثيتين دالتين:

- الأولى للرئيس خروشوف في الستينات وهو يلوح بمجائحه ثم يضعه أمامه في اجتماع رسمي للأمم المتحدة

- والثانية لعجوز مصرى جميل كان بجوارى حاجا في المزدلفة، حين خلع حذاءه بعد الانتهاء من قذف الجمرات، وراح يقذف إبليس، وهو يصيح غاضبا " خذ يا بن ال... " (كلمة لا تكتب) - (طردت من محلى قباقيب شجرة الدر، وحذاء أبو تحسين على تمثال صدام)

رجعت إلى فرحتي المكتومة بمحدث الخفاء الرمز، باعتباره البصقة الغاضبة العالمية، فتأكدت أنها ليست "ابتكارا عراقيا" كما قال أسامة عكاشة في "وفد" هذا الصباح، بل هى تعبير عن احتقار عالمي (وليس فقط عربيا أو إسلاميا) ، يعلن موقف الناس - كل الناس - من هذا المسخ الغبي القاتل، ثم فهمت رفضي فرحتي وفرحة الناس أنه خوفا من أن تكون هذه الفرحة هي تفرغ عاجز، لا أكثر.

لا أحد يستطيع أن يكتم فرحته بهذا الرمز، ولكن لا يصح أبدا أن نفرح بفرحتنا إذا لم تدفعنا فورا لنعمل ما يترجم هذه البصقة إلى فعل قادر على التغيير عندنا وعبر العالم.

480- رسالة ناعمة (1 من 2)

"رسالتان"

كان للعطب الذى أصاب كابلات الانترنت منذ أول أمس فضل بالغ في وقفة مراجعة اضطرارية لهذه النشرة العنيدة التي أبت أن تتوقف يوما منذ صدورها في 2007/9/1 وحتى تاريخه (العدد 480)، مع أننا وبدون هذا العطب كنا نراجع معا باستمرار هذه الورطة التي استمرت طوال هذه المدة بدفع شبه مستقل تقريبا .

بعد أن حدث الخلل في الكابلات مباشرة تصورت لأول وهله أنني سوف آخذ أجازه بضعة أيام، تمنيت بيني وبين نفسي أن تطول، لأتوقف وعذرى معي، لكنني شعرت بقلق لأمريين الأول: قلق على هؤلاء الذى يتابعوننا يوميا حتى تعودوا ذلك، خشيت أن يفتقدونا، ومن ناحية أخرى خشيت أيضا أن نفقدهم ونحن "ما صدقنا"، الأمر الثانى: أننى اكتشفت قيمة نصيحة المحبين والمشفقين، وكذلك توصيات المشغولين والمرهقين بإلزام المتابعة، اكتشفت أننى لو توقفت فعلا اسبوعا أو أكثر، فسوف أفهم نصيحتهم أوضح ، وأنها كانت نصيحة مخلصه محبة، فأقول لنفسي "بركة يا كابئلى جت منك ما جتشمى".

حين ضبطت نفسي متلبسا بهذا "التبرير" سارعت إلى استشارة أحد الأصدقاء ممن يفهمون في هذه المسائل، فأشار على أن أخطب أحد أبنائى أو بناتى في الخارج لينزل النشرة بمعرفته على موقعى أو على موقع بديل حتى يتم الإصلاح، وهنا قفزت فكرة الاتصال بإبن أ.د. جمال التركى الذى كان - وربما مازال- من أصدق المحبين الناصحين بالتوقف، فإذا به هو الذى يبادر بالترع كرما بإنزال النشرة يوميا على الشبكة العربية النفسية حتى يتم الإصلاح، إذن، فالرغم من رغبته هذه في إراحتى في هذه السن، هو الذى عرض هذا البديل - الآن- احتراما لرغبتى وإصرارى، وربما أملا خفيا في أن أوصل ما تصور أنه إرهاق يومى، فأنا لا أشك أنه من أهم المتابعين والمرحبين ومن أدق الناقدين وأنبه المحاورين برغم كل تحفظاته .

وهكذا صدرت النشرة ومنذ يوم السبت على الشبكة العربية النفسية، وهي سوف تصدر بانتظام-كما وعدني جمال- حين إصلاح الكابل.

أما المفاجأة الطيبة، فهي أنه من خلال هذا التحول الكرم وصلني من زميلين فاضلين رسالتين، وكأني أصدر هذه النشرة اليومية لأول مرة، وقد فرحت بهما بقدر ما تعجبت، وقررت أن أخص نشرة اليوم لهما على الوجه التالي:

الرسالة الأولى: من الزميل د. صادق السامرائي

وهذا نصها:

تحية طيبة وأعياد سعيدة،

هل يمكننا الكتابة في نشرتكم؟

تقديري.

تعجبت من هذا الإيجاز البليغ، والطلب المتواضع الكرم، فبادرت بالرد على الوجه التالي:

الأخ الفاضل الدكتور فاضل السامرائي

بعد السلام عليكم

"رب ضارة نافعة"

فقد تسبب العطل في كابلات الإنترنت أن يتفضل الأخ الكرم الأستاذ الدكتور جمال التركي بنشر يومية الإنسان والتطور في شبكتنا الراحبة، وجاءت رسالتكم هذه بشيرا بمشاركة دعوتك إليها منذ صدور النشرة أول سبتمبر 2007 وهي لم تتوقف حتى الآن يوما واحدا. هذه النشرة هي امتداد - بشكل ما - لمجلة الإنسان والتطور التي كانت تصدر بانتظام - تقريبا- منذ يناير 1980 وحتى يوليو 2001 وتوجد أعدادها جميعا بالموقع الخاص بشخصي www.rakhawy.org وأظن أن الموقع غير متاح في الوقت الحالي، في مصر على الأقل، بسبب عطل كابلات الإنترنت منذ صدور هذه النشرة اليومية، وقد وصلنا اليوم الإثنين إلى العدد 479 ونحن ندعو الأصدقاء للمشاركة

لعله من المناسب يا دكتور فاضل أن أخبرك كيف استبشر الصديق الكرم الدكتور جمال التركي خيرا من هذه المحاولة بإصدار هذه النشرة، وتكررت دعوته للمشاركة بشكل مباشر عن طريق الموقع الذي تنشر فيه، وكذلك بما اقترحه من منتدى لا أعرف تفاصيله التقنية،

لكن بعد سنة وأربعة أشهر تقلصت المشاركة لتقتصر على ما أسميناه "حوار بريد الجمعة"، الذي لم يتوقف ولا أي يوم جمعة منذ صدور النشرة ودعني لا أخفي عليك يا دكتور فاضل أن الغالبية العظمى من المشاركين هم تلاميذي وتلميذاتي، وهم يشاركون بتوصية تكاد تصل إلى الإلزام

أما بالنسبة لسؤالكم، فحين يعود الموقع متاحاً، سوف تجد ملحقاً بالنشرة ملفاً خاصاً لمساهمات "الزوار" بعيداً عن ما ينشر في النشرة يومية

ونحن نرحب بأية مشاركة سواء نقداً أو رفضاً أو إضافة لما ينشر يومية

وكذلك بأية مشاركة تلقائية تساهم في أهداف النشرة التي هي أهداف مجلة الإنسان والتطور والتي يمكن مراجعتها في أول عدد يناير 1980 في الموقع

أهلاً بكم، وبإسهاماتكم، وبإسهامات أي من الزملاء الافاضل

وبإحداً لو اطلعت على أرشيف النشرة في الشبكة العربية للعلوم النفسية أو في الموقع الخاص بالسلف الذكر، بأمل أن تكون مشاركتكم هي إضافة تكاملية لأهداف المجلة فالنشرة، والتي سنعيد نشر الخطوط العريضة لفكرها غداً في الجزء الثاني من هذه النشرة.

وعليكم السلام

الرسالة الثانية: من الزميل الاستاذ الدكتور عبد الحافظ الخامدي

ابتداءً، فليسمح لي الزميل أن أعذر عن نشر نصها لما فيها من إعطائي فوق حقي من تقريظ وما شابه، فأكتفي بالاعتراف بالامتنان لما ذكره، وأفرح أنه انتبه مشكوراً إلى أن النشرة تصدر "يومية" حين شكر أمثال أنهم". .. يخرجون كل يوم درهم وكنوزهم ".....". "للأجيال الجديدة" من أجيال العلوم النفسية في وطننا العربي "وبلغتنا العربية الأصيلة".

إن هذا وذاك يا كتور عبد الحافظ هو من أهم أغراض النشرة: التوجه إلى الأجيال الجديدة "والكتابة والتفاهم" بلغتنا العربية الرصينة".

فكتبت له الرد التالي:

الأخ الكريم

الدكتور عبد الحافظ الخامري

أشرك شكراً جزيلاً على ثقتكم التي أفخر بها

كما أحمد الله على العطب الذي أصاب كابات الإنترنت في بلدنا فأسعى صوتك من خلال شبكتنا الراحبة، ولعلك لاحظت أن عدد اليوم هو العدد رقم 480، فالنشرة لم تتوقف يوماً منذ صدورنا في انتظار مشاركتكم أنتم والزملاء، حتى تعطل الكابل، وتفضل الدكتور جمال التركي باستضافة النشرة حين إصلاحه فسمعنا منك ومن آخرين هذا التشجيع الكريم

نفع الله بكم، وأفاض علينا من فضله وفضلكم ما يعيننا على الاستمرار

وبعد

أليس من حقي أن أدعو الله بين الحين والحين أن نصاب بمثل هذا العطب "الكابلاتي"، لعل رسالتى تصل أسرع هكذا.

اعتذار

أعتذر لمن كان ينتظر متابعة الحوار مع حالة الاسبوع الماضي "سامح" عن الخزي، والقهر، والذنب، والاحترام (1 من 2)، ثم المقابلة مع سامح، (2 من 3)، لأننى فضلت أن أؤجله حتى نعطي حق المتابعة لمن كان بدأ قراءة الحالة فعلا علي الموقع، وأيضا لكي تتاح الفرصة لمن لم يفعل ويريد أن يقرأ النشرتين السابقتين عن نفس الحالة "حالة سامح"، قبل الشرح التالى أن يجد الخلفتين فى المتناول، ثم يواصل المتابعة، وكل هذا لا يتوفر إلا بعد عودة الكابلات إلى مجاريها.

* * *

هذا... وسوف ننشر غداً الخطوط العريضة لفكر "الإنسان والتطور" نشره، ومجلة، ترحيبا بالضيوف الجدد.

مع الاعتذار لبعض التكرار المحتمل.

الإثنين 24-12-2008

481- رُبَّ ضارّة نافعّة (2 من 2)

بعض الافتراضات الأساسية للفكر النفسى التطورى

(نشرة الإنسان والتطور)

قبل المداخلة:

ذكرنا أمس كيف أن عطل كابلات الإنترنت أتاح لنا فرصة مراجعة، لاح من خلالها بريق أمل جديد، وقد ألزمنا هذا الحدث بالتوقف عن مواصلة عرض حالات تحتاج إلى أكثر من نشرة، وأيضاً عن سلسلة أى موضوع يحتاج أكثر من يوم.

وبمناسبة ظهور النشرة عبر الشبكة النفسية قلت أنتهزها فرصة لعرض بعض الخطوط العامة التى تحدد معالم الفكر الذى ظهرت هذه النشرة يومياً لتوضيحه، آملاً أن يساعد ذلك فى تعريف الأصدقاء الجدد بعض ما نسعى إليه.

وجدت بين أوراقى هذه المداخلة التى أقدمها اليوم، وهى تمثل بعض ذلك، وقد نشرت من قبل فى مجلة "سطور" بعنوان **"التاريخ والبيولوجيا فى مواجهة التفكير المعقلن: القيادة بالتبادل"** بتاريخ أبريل 2000. وقد حددت بعض الخطوط العريضة لهذا الفكر بشكل أو بآخر، فرأيت أن أعيد نشرها عبر الشبكة فى هذا السياق.

وغيرت اسمها إلى الاسم الحالى.

وحين راجعتها، وصححت بعض الأخطاء فيها، غاظنى هذا القدر الهائل من التكثيف، ومع ذلك لم أستطع أن أعدل عن نشرها كما هي تقريباً أولاً فى بداية جديدة، وترحبياً بأصدقاء جدد. ومرة أخرى شكراً للكابل.

نبذة:

ينبه هذا المقال إلى الخطأ الفادح الذى يرتكبه الإنسان نتيجة لترجيحه "التفكير المعقلن" على جوانب وأشكال أخرى من التفكير، والذى يؤثر بالسلب على مسار تطوره بالكامل، مشيراً إلى أن "هذا الترجيح يجعلنا نقوم بتنظيم حياتنا تبعاً لما يصل إلينا من معلومات نتعرف عليها أساساً من خلال عمل هذا النشاط المرجح "التفكير المعقلن" فيما يمكن تلاقى مثل هذا

الخطأ الفادح بإعادة الاعتبار للأشكال الأخرى من التفكير، ونورد ذلك في نقاط محددة كالتالي....

أولاً: اقترن لفظ التفكير - حديثاً - بلفظ العقل. في الوقت الذي أخذ فيه لفظ العقل قدراً من الاحترام والتقدير بما يستحق وما لا يستحق، وقد تم ذلك بتبرير مناسب، ألا وهو محاولة مواجهة الخرافة والتخلف، إلا أنه كان من بين النتائج التي ترتبت على هذا التقدير أن اختزلت أو استبعدت طرائف ومناهل المعرفة الأخرى (التي لا تتفق مع التعريف المحدود لما هو "عقل" أو ما هو "تفكير"). (يمكن أيضاً مراجعة نشرتي: **أنواع العقول وتعدد مستويات الوعي، أنواع العقول (والغناء عقول الآخرين) link الطريق الى فهم الوعي**)

ثانياً: شاع بين علماء النفس تعريف للتفكير بأنه "حل المشكلات" Problem Solving ، وعلى الرغم من أن حل المشكلات قد يمتد إلى أعماق أخرى تتجاوز ما يتواتر إلى الذهن لأول وهلة، إلى أن المعنى المباشر لما هو "حل للمشكلات" ظل مرجعاً عند أغلب المشتغلين بعلم النفس كلما ذكرت كلمة "التفكير"، حتى كاد يقتصر على ما يشبه ألغاز الشطرنج أو أحاجي الحاسوب.

ثالثاً: اقترنت كلمة التفكير بما يشبه المقابلة مع ما هو انفعال أو عاطفي أو حتى وجداني، فزاد هذا المنطق الاستقطابي (التفكير ضد = في مقابل الانفعال) زاد من فصل التفكير عن كلية الوجود.

رابعاً: استقلت كلمة التفكير عن كل من الوعي والثقافة، ولا أعني بالاستقلال هنا: الانفصال، وإنما المقصود هو أن الكلمة أصبحت تصف ظاهرة أكثر تحديداً، وأكثر قابلية للدراسة التجزئية المنظمة عن كل من كلمتي الوعي والثقافة اللتين تفيدان كلياً أكثر شمولاً وأيضاً أكثر غموضاً، إلا أن هذا الاستقلال نمادى حتى أصبح تفضيلاً وتفوقاً.

خامساً: ترادفت كلمة التفكير، في كثير من الأحيان مع، ظاهرة العقلنة (أو الذهننة Intellectualization)، في حين أن العقلنة ليست إلا حيلة دفاعية تستعمل المنطق المعقلن كمهرب بعيداً عن التواجد البصري المشتمل.

سادساً: تفاقم سوء فهم عبارة ديكارت "أنا أفكر فأنا موجود"، إلى اختزال الوجود إلى ما هو تفكير، إلى ما هو عقل كما شاع عنه، وتضمن ذلك استبعاد "ما ليس كذلك". وقد انتبهت إلى هذه المغالطة يوماً وأنا أحاور مريضاً فصامياً (حتى أنني قمصته احتراماً فكتبت في كتابي "حكمة المجانين (1972): أنا أفكر فأنا غير موجود، ثم أضفت من عندي: لا تفكر، ولكن: استعمل التفكير (!!)

سابعاً: استعملت كلمة التفكير كمترادف لكلمة المعرفة cognition، فاختزلت كلمة المعرفة إلى ما هو تفكير منطقي عقلاني خطي سببي حتمي، مع أن المعرفة أشمل وأكمل.

وبعد

سوف أكتفى بهذا القدر من مظاهر إشكالية مفهوم ما هو "تفكير"، وأستطيع أن أطمئن إلى كفايتها للتنبية إلى ضرورة مراجعة الموقف برمته، ذلك أن المسألة ليست مجرد ترادف خاطئ، أو تدخل عفوى ملتبس، وإنما وراء هذا الخلط والتداخل احتمال خطأ منظم جسيم قد ترتب عليه تداعيات منذرة. ذلك أننا إذا أهملنا "ما ليس كذلك" (ما ليس تفكيراً كما نتصوره)، أو تصورنا أن "ما ليس كذلك" يقوم بوظائف أقل أهمية في تشكيل وعينا وتوجيه مستقبلنا نكون قد وقعنا في خطأ تطورى مهدد للنوع البشرى بأكمله. وأضرب لذلك مثالا شائعا: إن من بعض مظاهر هذا الاختزال أو الاستبعاد (بجسن نية، أو سوء حسابات) هو أن نقصر استعمال الدين والتدين - مثلاً- باعتباره نوعاً من النشاط الطيب الذى يمارس بعض الوقت (في عطلة نهاية الأسبوع مثلاً، أو قبل النوم وبعد الأكل !!) ليفيد في جعل قلوبنا بيضاء !!! (نحب بعضنا البعض في بله كاذب)، دون أن نستلمهم من تاريخ النزوع الدينى والمعرفة الإيمانية معرفة تساهم في الحفاظ على بقائنا، وتطوير وجودنا.

ومثال آخر: حين نستعمل الإبداع الفنى ليدغدغ الجمال، ويريح البال، ويفرغ الطاقة (التطهير)، دون أن ندرك دوره المعرفى وخطورته في تشكيل الوعي، ودفع عجلة التطور إلى الأرقى والأكمل وجوداً وإحاطة.

الفرص:

الفرص الذى أطره في هذه المداخلة يقول:

إن ثم خطأ تطوريا يتعرض له الجنس البشرى نتيجة لترجيح نشاط جزء من تركيبه على سائر الأنشطة الأخرى، ذلك أن هذا الترجيح يجعلنا نقوم بتنظيم حياتنا تبعاً لما يصل إلينا من معلومات نتعرف عليها أساساً أو تماماً من خلال عمل هذا النشاط المميز (المسمى التفكير)، مما يؤدي إلى استبعاد، أو التهوين من شأن الجارى على مستويات أخرى من جدل حيوى مع الطبيعة الداخلية والخارجية من ناحية، ومع التاريخ والمستقبل من ناحية أخرى.

وفيما يلى بعض منطلقات هذا الفرص، بما تحمل من إنذارات، وما تحفز من مراجعات.

أولاً: من منظور تاريخى

1) من منطلق حسابات وتاريخ التطور:

تاريخ الإنسان ليس تاريخ التفكير، وإنما هو "تاريخ التلاؤم مع المحيط" مستعملاً كل إمكاناته البقائية والتطورية، بما في ذلك - مؤخرًا - "بيولوجية التفكير"، فإذا كان تقدير عمر الكون يتراوح من 9 إلى 20 بليون (ألف مليون سنة)، وعمر الأرض يقدر من 4 إلى 6 بليون سنة، وعمر الحياة على الأرض من 1 إلى 2 بليون سنة، فإن عمر الإنسان يدور حول

600000 سنة فقط، وبالتالي فإن حسابات التطور التي تجرى بمقاييس عقل الإنسان وحده، ثم تحاول التخطيط لمستقبله ولا تضع في اعتبارها تاريخ الحياة قبله ومعه، هي حسابات تحتاج إلى وقفة فمواجهة.

وبالنسبة لما هو إنسان فإنه يمكن إرجاع جذور السلوك شبه التديني (وليس الديني) إلى حوالي ثلاثمائة ألف سنة وذلك قبل نشأة جذور اللغة التي يقدر عمرها بمجوالى مائة ألف سنة، في حين لم يمس على الديانات السماوية المعاصرة سوى ألفان أو ثلاثة من الأعوام، أما عن عمر العلوم الحديثة التي تحاول مؤخراً صياغة مستقبلنا وحدها (تعسفاً) فهو لا يزيد عن قرن (إلى قرن ونصف) على أحدث الافتراضات، وقد تسارعت إنجازات ما يسمى العلم الحديث (وهو مرتبط ومقتن غالباً مع الشائع عن العقل والتفكير) في الخمسة عقود الأخيرة بما لا يقارن بتاريخ إنجازات العلوم المعروفة طوال التاريخ.

هل يجوز الاستسلام لوصاية مطلقة لما تم إنجازه من علوم حديثة في الخمس عقود الماضية على كل هذا التاريخ التطوري الممتد هكذا؟

(ب) مثال من تطبيق فكر صحيح (الفكر الماركسي)

منذ أوائل هذا القرن (باعتبار سنة 2000 هي آخر سنة فيه) حتى قرب أواخره، جرت تجربة محددة لتطبيق إنجاز رائع للعقل البشري فيما يتعلق بالتفسير المادي للتاريخ، وما يترتب على ذلك من احتمالات تطبيق العدل وإطلاق مسار تطور الإنسان، ولايستطيع حكم عدل أن ينكر، مهما بلغ تميزه، أن هذا التفكير هو صواب في صواب بدرجة تقرب من الكمال، من أول تفكير ماركس الباكر حتى تفكير المجددين الحديثين من الشيوعيين المخلصين، وقد شمل هذا التفكير بعض المراجعات الحصيفة التي حذرت من، دور الدين حتى ألغته (مغفلة ارتباط النزوع التديني بالتاريخ الحيوى المرتبط بالحاجة إلى الإيمان بمعنى هارمونية التلاؤم المفتوحة)، كما استهان هذا الفكر بدور الحافز الشخصي للتملك (مغفلا ارتباط ذلك بالتاريخ الحيوى أيضاً الناتج عن التهديد بالموت جوعاً والمرتبط باللا أمان الأساسى في الوجود) إلى آخر مثل ذلك.

ثم إن هذا التفكير السليم جدا (والذى ما زال سليماً) قد طبق بكل حماس، وقتل، وإخلاق في واقع الإنسان لعدة عقود، في أكثر من موقع جغرافي، وقد فشل التطبيق للأسف فشلاً خطيراً، وقيل في تفسير ذلك كلام كثير كان من أهمه مراجعة الفرق بين النظرية والتطبيق، ومع كل هذا الفشل، لا يستطيع إنسان أن يدعى أنه تفكير خاطئ أو فاسد، فهو لم يرجح ظلم الإنسان لأخيه الإنسان أو يحمل استعمال إنسان لإنسان آخر كأداة لرفاهيته، أو يبرر الاستهلاك للاستهلاك أو مجرد التميز، أو يدعو إلى الاغتراب، أو يتجاهل الإبداع، لم يفعل أيّاً من هذا بل نادى بعكسه الجميل، ومع ذلك فقد فشل وسيفشل، كما سيفشل التفكير اللاحق الذى حل محله شامتاً وهو يعلن ببلاهة صادقة: نهاية التاريخ، أو حتمية سيادة السوق، أو تهادى

صراع الحضارات، وهو الحل الذى سوف يفشل حتما مادام لم يضع -هو الآخر- فى اعتباره تاريخ تطور الإنسان ووسائل تكيفه قبل، وبعد، ومع ما يسمى: "التفكير" المعقلن المركز على حسابات السوق.

ثانيا: من منظور تفسير الدين بالعقل (بالتفكير)

إن فشل التفكير الماركسى على أرض الواقع، والفشل المنتظر للتفكير العولمى التسويقى التراكمى هو دليل على أن إغفال التاريخ الحيوى، أو على أحسن الفروض التهوين من دوره، هو كارثة تطورية بكل معنى الكلمة، ولتوضيح بعض ذلك نضرب مثلا واضحا لإهمال تاريخ النزوع الدينى مثلا عبر 300 ألف سنة واختزاله لحساب التفكير المعقلن الحديث تحت ما يسمى تفسير الدين بالعلم (أو بالعقل). بلغ من سذاجة بعض المتدينين، وحرص البعض الآخر على دينهم فى لهفة دالة على شعور بالخلج أو النقص من كونهم متدينين، أن اندفعوا يبرون تدينهم بما يتصورونه عقلا أو تعقلا أو علما، وذلك بمحاولة تفسير الدين جملة وتفصيلا بما أسوه عقلا، وهو ما ظهر أنه مرادف عندهم لإعمال التفكير المنطقى أحادى البعد، أو تقديس العلم الشائع المتاح الحدود المنهج؛ فانتشر ما يسمى التفسير العقلى للدين، (والتجسد مؤخرا فيما يسمى: التفسير العلمى للقرآن، كمثال) حدث ذلك بعد أن شاع أن ما لا يوافق العلم، مما نضطر للتمسك به، لا بد أن يحشر حشرا فيما هو مجدية العلم "المتاح"، كما لابد أن يقرأ من خلال نفس التفكير المعقلن؛ وإلا فإن علينا أن نطره وراء ظهورنا، وقد ترتب على ذلك أن اختصر الدين إلى قشور العلم. هذا موقف لا يضيف شيئا إلى الدين حتى لو أعلن أسبقية الدين فى بعض الرؤى الخدسية، ولا يأخذ شيئا من الدين، لا من تاريخه ولا من خصوصيته، ولا من وظيفته.

ثالثا: من منطلق الدراسات اللغوية والنقدية

إن المتابع للتطورات الأحدث فى علوم اللغة وعلوم النقد (الأدبى) لابد أن يطمئن إلى صحة الوعى البشرى قليلا أو كثيرا، لما يتهدده من خلال تضيق مفهوم العقل واختزال مفهوم التفكير، وتكفى هنا الإشارة إلى الإضافات التى أضافتها الحركة التفكيكية فى النقد الأدبى، حتى نطمئن إلى يقظة الوعى البشرى إلى ما يحيط به من مخاطر الاختزال والاستسهال، إذا ما استسلم للحاضر الواضح تحت أى اسم براق، حتى لو كان هذا الاسم هو "العقل"، أو التفكير المعقلن.

رابعا: من منظور المدارس النفسية

حتى فرويد الذى أضاف برؤيته إلى فهم ما هو إنسان إضافة عملاقة من حيث تأكيده على تضاؤل دور العقل الواعى أمام سطوة اللاوعى، حتى فرويد انتهى إلى حتم وصاية الوعى المفكر (العمليات الثانوية Secondary Processes) على حركة اللاوعى الدوافعى (العمليات الأولية

(primary Processes)، فكادت تتوارى عبقرية اكتشاف لغة الحلم التصويرية والكلية والتكثيفية في محاولاته الختمية لترجمة الحلم وتفسيره الرمزي التعسفي. وظل الأمر كذلك حسب قول فرويد "حيثما تكون الـ " هي ID: يكون الـ "أنا" Ego، حتى نبه سيلفانو أرييتي إلى أن التفكير الإبداعي إنما يتم بالتوليف بين هذه العمليات جميعا بما أسماه "الولاف السحري" "The magic synthesis" وهو ما يعادل ما أسماه "العمليات الثلاثية" Tertiary processes وبهذا أضاف أرييتي نوعا من التفكير الذي ليس منطقيا أرسطيا من ناحية وليس عشوائيا خرافيا من ناحية أخرى، بل إبداعا متميزا.

ثم تتعدد المدارس الموازية لتؤكد على تعدد الذات (بوجه خاص مدرسة التحليل التفاعلي Transactional Psychology لرائدها إريك بيرن) كما تؤكد على حقوق كل "ذات" في القيادة بالتبادل مع الذات اليافعة المبرجة عقليا (= الذات "اليافع" Adult الواقعي) في هارمونية محسوبة واتساق مناسب، وبالتالي تفتح هذه المدرسة الباب لفهم مشروعية التفكير الطفلي (عند الناضج) والتفكير الحكيم (عند الطفل) كأمثلة، كما أن هذه المدرسة تشير إلى أن مسار النضج المستمر إنما يتوجه إلى "الولاف الأعلى" بين الذات إلى ما أسماه الناضج المتكامل Integrated Adult، وقد اعترف إريك بيرن أن هذا المفهوم غامض بالنسبة له، ذلك لأنه غاية أكثر من كونه واقعا مائلا، ولأنه حالة من التكوين المستمر، أما نوع تفكير هذه الذات "الناضج في تكامل" (كما عدلت اسمه) فهو أقرب إلى العمليات الثلاثية (الإبداعية) التي أشرنا إليها في فكر سيلفانو أرييتي.

وأخيرا فإن المدرسة المسماة "علم النفس عبر الشخصية" Transpersonal Psychology تؤكد على نوع من التفكير التجاوزي، في مرحلة تتجاوز تحقيق الذات إلى ما هو غيرها نحو الامتداد في الكون الأعظم، مما يفتح الأفق لتفكير أعلى لا يخضع لمنظومة وصاية "التفكير العقلاني" بالمفهوم الغالب.

خامسا: من منطلق بيولوجي

تستعمل كلمة بيولوجي - في الأغلب - استعمالا مختزلا باعتبار أنها مرتبطة أساسا بالكيمياء الحيوية والمحسوسات الفيزيائية المتعينة، إلا أن استعمالها الأصح والأشمل هو أنها تتعلق بما هو حيوي (تطوري تكاملي) ومن هذا المنطلق توجد مدخل كثيرة تلمئن القاري، إلى أن فريقا من العلماء والمبدعين والعارفين لم يستسلم للاختلال الشائع لما هو تفكير باعتباره المصدر الأساسي للمعرفة، فراح يفتح الباب لتأصيل فهم المسار الحيوي المعرف للحياة برمتها، وبالذات للنزوع الديني بيولوجيا إلى ما بعد ذلك مما لا نعرف.

وأكتفى هنا بثلاثة أمثلة دالة وهي عن الأسس التطورية النيوروربيولوجية للتدين فالإيمان وبالعكس:

أولا: الأسس التطورية النيورو- بيولوجية للتدين فالإيمان وبالعكس

لم تنكر - حسما - نظرية التطور دور الدين في الحفاظ على فكرة الانتقاء "الطبيعي، فالشائع أن داروين وحده هو صاحب هذه النظرية، والزعم الغالب هو أنه كان أكثر ميلا إلى إنكار الدين ونفى الخالق بتأكيده على الطبيعة التكوينية الانتقائية لمسار الحياة، إلا أنه لم يكن وحده صاحب كشف نظرية التطور الانتقائية التكوينية، ففي نفس العام (1871) شاركه في الكشف "ولاس" (المنسي والمهضوم حقه) الذي كان يرى أن ثمة إعدادا مسبقا مسلسلا للتكيف لإجهز لصلاحية البقاء للحفاظ على الأنواع الأرقى، وبالتالي أن ثمة معد لذلك (الله) وهذا قد يعنى أن الجهاز العصبي أو أى تنظيم حيوى فى الدماغ البشرى هو مهياً من قديم لتلقى هذا الإعداد والتواصل مع هذه القوة الأعلى، وعلى ذلك فإن هؤلاء المرشحين للبقاء - من وجهة نظر "ولاس" - مجهز عندهم الدنا DNA لإظهار السمات اللازمة لاستمرار التكيف والتطور فى بيئة وظروف جديدة ومتجددة تسمح بظهور أنواع متطورة أرقى. وفى المقابل فإن الأنواع التى حرمت من هذه الاستعدادات لا تستطيع أن تكمل فى ظل نفس الظروف، وعلى ذلك فإنها تتوقف أو تنقرض، وعلى الرغم من أنى لست متحمسا لمثل هذه التأويلات تيريرا للدين أو دفاعا عن التطور، إلا أنى أوردت هذا الرأى الآخر لنظرية التطور لأظهر كيف أن العلماء لا يتوقفون عند تفسيرات منطقية متعجلة، وأن احترامهم لحدس الجموع من ناحية، وللتاريخ من ناحية أخرى يجعلهم يحاولون إضافة ما - إضافة تبدو متعسفة أحيانا ومنطقية أحيانا أخرى - وذلك فى محاولة المواءمة بين رؤى ومعلومات نظرياتهم الأولية وما يغلب عند الناس ويؤيده التاريخ.

وقد حاول بعض العلماء ربط بعض ما لاحظوه من سلوك الحيوانات باعتباره الجذور الأولية للنزوع التديني، فلاحظوا أن الأفيال والذئاب والشمبانزى تمارس نوعا من الطقوس المنتظمة بشكل جماعى أثناء العواصف والرعود، وهذا يكاد يشبه ما يقوم به بعض البدائيين فى مثل هذه الظروف، كما أن هذه الفيلة والذئاب والشمبانزى تدفن جثث موتاهم، أو بقاياها ياكلهم كما يفعل الإنسان.

كذلك درس فريق ثالث سلوك بعض أنواع الإنسان الأول (البيبلوليثيك) الذى عاش فى أوروبا والشرق الأوسط من ثلاثمائة ألف سنة قبل الميلاد، حيث ترك لنا ما يشير إلى أنهم كانوا يدفنون موتاهم فى وضع النوم مما يشير إلى احتمال إيمانهم بالحياة الآخرة، كما كانوا يضعون حولهم قرون المعازف فى شكل دائرة ومعها بعض جلود الحيوانات، وبعض الأدوات الحجرية والزهور. (مما امتد وتعمق فى طقوس الخلود عند قدماء المصريين). وعلى ذلك فمن المحتمل أن هؤلاء البشر الأول (300.000 سنة ق.م.) كان عندهم عواطف ومشاعر قوية وشديدة تجاه ما هو وعى مطلق مفتوح النهاية، وما هو الحياة بعد الموت، وما يصاحب ذلك من آمال وخاوف تتعلق بهذه المعتقدات. على أن أحدا من العلماء لم يستطيع أن يحدد اللحظة التى يمكن أن نتصور أن الإنسان أصبح فيها على وعى بوجود هذا الوعى المطلق بأسماء مختلفة.

ثانيا: محاولة تحديد المخ الحوفي Limbic Brain كمركز أساسي للخبرة الدينية

لم يستبعد العلماء احتمال وجود شبكة نيورونية قادرة على استقبال الأنماط والأشكال الهندسية المرتبطة ارتباطا شديدا باللغة الدينية الكلية (والفنية لاحقا)، وهذه الشبكة لها محطات في الفص الصدغي الأسفل، وفي اللوزة، وفي الحوفية، والمهيد - وحيث إن هذه النيورونات لها استجابات متعددة الأنماط فإنه يمكن أن يشمل ذلك بعض الوجدانات المتعلقة بالتدين، ومن الممكن أن تتمازج الأشكال الهندسية الرمزية مع الوجوه فيما يشبه الخبرة الصوفية العاطفية (التدينية) بشكل أو بآخر.

وعلى هذا الأساس، فقد حاولوا تفسير المستوى النيوروني لإدراك الملائكة والأرواح والأشباح بأنه يحدث من مدخلات من مختلف النيورونات في مختلف أجهزة الدماغ كل منها يضيف بعض المميزات لما ينتج من إدراكات عاطفية (سمعية بصرية دينية).

ويذكر يونج (1964) ما يتعلق بهذا الاحتمال حين يقرر أنه بغض النظر عن الثقافة (البيئة المحيطة) والزمن، فإن الهنود الأمريكيين الحمر والأفريقيين، والكرومانيين، والمصريين، والمسيحيين المحدثين، كل هؤلاء يرون الصليب بشكل متواتر راسخ في خبرتهم الصوفية، ويعزون ذلك إلى خبرة كونية أو روحية فائقة الدلالة. وحديثا: فإن الأبحاث النيوروفسيولوجية أثبتت أنه توجد نيورونات تطلق دفعاتها انتقائيا إلى أشكال بصرية هندسية تشبه الصليب أو المثلثات (الأهرامات) والوجوه، وتسمى هذه النيورونات باسم نيورونات الصليب، كما تسمى أيضا النيورونات الباحثة عن المعالم، حيث أنها يمكن أن تتعرف على الوجوه، والأشكال الهندسية وتستجيب بشكل ديني لذلك. وقد خلصت هذه الدراسات إلى احتمال أن يكون المخ الحوفي Limbic Brain هو الموقع المسئول عن الخبرات الدينية"، بالإضافة إلى مسئوليته عن بعض تلك الخبرات التي وصفها بعض من استعاد الحياة بعد أن عد ميتا بشكل أو بآخر، ومن هذه المحاولات والفروض والاجتهادات التأويلية يتنامى الحديث عن أمخاخ متعددة وليس مخا واحدا من بينها مخ القشرة الأحدث، والمخ الحوفي (الوجداني التديني) وغيرهما.

ثالثا: تعدد الأمخاخ (الأدمغة) وتعدد التفكير

إن التحدى الذى تواجهه هذه المداخل لا يقتصر على رفض ترجيح أحد أشكال التفكير على ما عداها فحسب، أو ترجيح عمل مخ أحدث على مخ أقدم، وإنما هو يئنه أساسا إلى خطورة إنكار فاعلية دور المخ الأقدم في كلية عمل الوعى البشرى الأحدث، وتأثير ذلك في مسار تطوره، ذلك أن الأقدم لا يكون أقدم إلا إذا انفصل عن الأحدث واستقل وِسَادَ بصفة عشوائية (كما هو الحال في الجنون) أما إذا كان المخ الأقدم كامنا فاعلا متبادلا متناغما مع الأحدث تطورا، فإنه لا يصبح الأقدم، وإنما يصبح المتضمن في الأحدث الكلي، وليس الأحدث المغترب.

ثم إن الخطأ الذي ترتب على الإعلاء من التفكير المعقلن لم يقتصر على استبعاد النشاط الأقدم بعد فصله تعسفيا ليصبح أقدم فعلا، بل إنه راح يستبعد نصف المخ الكروي الذي أسماه متنجيا مع أنه منظومة دماغية مواكبة في مسار التطور لمنظومة النصف الكروي الذي سمى طاغيا (والذي أصبح مؤخرا النصف القاهر)، إن النصف (المخ/ الدماغ) المتنجي يعتبر عضوا مستقلا بل إنه يعتبر كيانا متكاملًا بشكل أو بآخر، وقد أدت الدراسات لكل نصف (مخ) على حدة، بالقدر الذي سمحت به الأدوات والفرص المتاحة، إلى التقرير أنه حتى ما يسمى بالمخ الأحدث المتمثل في النصفين الكرويين (= القشرة)، ليس مخا واحدا، والأهم من ذلك أن كلا من النصفين (المخين) يفكر بطريقة مختلفة عن النصف (المخ) الآخر. يقول وكسلر (1980): إنه من المسائل التي شغلت فسيولوجيا الأعصاب طويلا: الأحقية النسبية لفحص نصفي الدماغ على مستويات متباينة. وقد قام بوجن قبل ذلك (1969) بفحص الفروق النوعية لعمل نصفي المخ سواء على المستوى التجريبي (في الشمبانزي)، أو بالملاحظة الانتقائية في الإنسان لبعض الحالات التي أصيب فيها أحد نصفي المخ دون الآخر، أو التي أجريت لها عمليات فصل النصفين الكرويين بشق الجسم المندمل (في حالة الصرع) أو بإزالته في بعض حالات الأورام. وقد انتهت معظم الأبحاث إلى أن كلا من النصفين الكرويين له عمل مختلف نوعيا عن الآخر، كما ثبت أن تركيب كل من النصفين بالتشريح الدقيق بالفحص المجهرى الإلكتروني يشير إلى اختلاف تركيبى أيضا، وكذلك فإن المخ غير الطاغى (الأيمن في الشخص الأيمن) متخصص أكثر في النشاط البصرى، التصويرى المكانى وأيضا في التفكير التريبطى، في حين أن المخ الطاغى في منطقة بروكا بالذات متخصص أكثر في رصد وربط علاقات (اللغة) الرموز والمنطق، وأخيرا فإنه يبدو كذلك أن الاستجابة العاطفية تختلف في كل مخ عن الآخر. وعلى ذلك فإن استعمال كلمة "طاغ" و"متنج" في وصف كل من النصفين الكرويين هو استعمال قديم وخاطئ ويدل على طغيان غير مشروع وتحيز من جانب المنظرين إلى ما يعرفونه من تفكير عقلاني على حساب تهميش ما يعيشونه من تمازج خيراتى أشمل، ولهذا اقترحت أن يسمى النصف الطاغى بالمخ الترميزى أو المنطقى، في حين يسمى النصف المتنجي بالمخ التركيبى أو التصويرى.

تفاؤل حذر و خلاصة :

على الرغم مما حفلت به هذه المدخلة من نقد وتحذيرات وخاوف، فإن الوعي البشرى، بحيرته وحدسه وحساباته وإبداعاته ومعلوماته جميعا قد أدرك بشكل ما خطورة هذا الانحراف في مسار الإنسان، وتصورى أن ما يجرى من استدراك وتعميق وتوسيع للمنهج وابتداع لغات أقدر على الإحاطة بالظاهرة البشرية في كل مجال، هو مبشر بخير يمكن أن ينقذ الإنسان من التهديد القادم، اللهم إلا إذا بلغ عمى الساسة، والأصوليين من المتدينين والعلمانيين والتنويريين جميعا، مبلغا يحول دون أن تنقذ هذه الاستدراكات المعرفية الرائعة الإنسان من الوصاية التعسفية التي تفرضها آخر عشرين قرن من الزمان على ستمائة ألف سنة من التاريخ،

وقد يتمادى هذا العمى بخطأ تطورى عشوائى وارد، كما قد يأخذ دفعه وتبريره، بشكل خفي، من جشع المالبين الجدد الذين احتفظوا من التاريخ بعدم الأمان المتواصل الذى يبرر ما يجمعون، دون السعى إلى توفير الأمان من واقع الامتداد فى الكون والتواصل مع البشر.

ثم أختتم هذه المداخلة بعرض بعض ما يدعو إلى هذا التفاؤل الحذر

فعلى مستوى المنهج (العلمى) يجتهد العلماء فى تدارك اختزال الإنسان إلى عقل ظاهر مفكر، بالاهتمام أكثر فأكثر بتوسيع المنهج من خلال العلوم الجديدة مثل علوم الشواش والتركيبية، وأيضاً من خلال إحياء المناهج الحكائية القديمة، وإعادة قراءة الأساطير، واحترام دلالات وآثار وضرورة الثقافة الشفاهية بشكل معاصر يمكن تحديثه، وأيضاً من خلال توثيق الوصلة بين مناهل المعرفة المختلفة سعياً إلى تكامل معرفي أشمل.

وعلى مستوى العلوم الإنسانية تتمادى محاولات التخلص من الشعور بالنقص أمام منهج ما سمي يوماً بـ "العلوم المنضبطة" بما هو جدير أن يسمح للعلوم الإنسانية بالانطلاق بمنهجها الخاص إلى التصالح الحقيقى مع المعارف الإيمانية والتوجه الدينى والحدس الشعبي، وكل النشاطات التى يمكن أن تندرج تحت "ما ليس كذلك". وأيضاً لتعميق النظر فى وعى الناس مباشرة أثناء إبداعاتهم اليومية العامة بما فى ذلك إبداعات التدين والرقص والغناء والعمل أيضاً.

وعلى مستوى الإضافات الإبداعية فى الأدب والشعر والتشكيل وسائر النشاطات التصويرية والجمالية الكلية، فإنها تستعيد موقعها كمصدر أساسى ينهل منه الكائن البشرى معارف كلية تصحح مساره الخطى المختزل، وبالتالي فهى لابد أن تساهم فى رسم خطاه المستقبلية.

وأخيراً وليس آخراً فقد يكون فى احترام تاريخ النزوع الدينى ودوره الإيجابي فى مسيرة التطور البشرى ما يعفى العلماء المتدينين من اختزاله إلى ما يعرفون، وأيضاً ما ينفذ الدين من رجالته الذين يصرون على تقزيه فى ألفاظ معابهم، وأيضاً على تبريره بظواهر عقولهم، مع أن وظيفته التطورية، وحتى النفعية الحالية، تبدو أعرق وأقدر من كل هذه الوصايات اللاحقة.

الخميس 25-12-2008

482-أحلام فترة النقاهة "نص على نص"

نص اللحن الأساسي: (حلم 119)

وصلت إلى المحطة في الوقت الحرج واتخذت موقعى في الطابور الممتد إلى شبك التذاكر. وظللنا بين القاطرة والشباك حتى انطلقت صفارة الإنذار الأخيرة ومازلت على مبعدة من الشباك، وهكذا فاتنى القطار.

التقاسيم:

لم ينفص الناس من الطابور برغم صفارة الإنذار، فهى لم تكن إنذارا بقيام القطار الأول، ولكن بغارة مفاجئة مجهولة الهوية، وقال أحد الواقفين إنها صفارة النجدة وليست صفارة الإنذار؛ فقال آخر: لقد أعلنت إسرائيل الحرب على حزب الله؛ فقال الذى فى مقدمة الطابور: وما لنا نحن؟ هل ستنقلنا مدرعات حزب الله إلى القاهرة؟ فقال الذى يقف خلفه: ما هو انت فى القاهرة، انت تقصد الإسكندرية. فرد عليه ناهرا: إيش عرفك ماذا أقصد؟ ثم إيش عرفك أننا فى القاهرة؟ فقالت امرأة منتقبة كانت تتململ طول الوقت فى الطابور: أليس فيكم رجل واحد يخفف عنى ما أنا فيه؟

قمنا برحلة إلى المملكة التى تغنى بروعتها الشعراء وهناك انضم كل فرد إلى المرشد الذى اختاره ينتقل به من مشهد إلى مشهد ومن جبل إلى بحيرة ومن متحف إلى مقبرة وقال المرشد: إنه لم يبق من الرحلة إلا الحديقة البللورية ودعانا إلى شئ من الراحة والتأمل كى لا يصدمنا الانبهار فسألنا: وهل نمة انبهار يفوق ما شاهدنا من أحياء وأشياء فابتسم المرشد وواصل السير ونحن فى أثره.

التقاسيم:

لم نعرف كيف يمكن أن نرتاح أو نتأمل ونحن ننتظر انبهارا أكبر من قدرة خيالنا على الانبهار، ثم بدأ الركب فى التحرك، وكان لا بد من السير على الأقدام فالطريق إلى الحديقة غير مصرح بسير السيارات فيه، ولا هو صالح لذلك، وطال المسير دون

أى أمل فى الوصول، حتى بدأ بعضنا يتسرب من الجمع، ويقف تحت ظل شجرة، أو بجوار غدير، وخاف المتبقون أن يحل الظلام وقد قاربت الشمس على المغيب، وحين وصلنا إلى الساحة الكبرى، نظرنا فى الأفق فإذا قرص الشمس قد احمر حتى صار مثل الجمر المشع، وقد لامس الأفق، وبدلاً من أن يتوارى رويداً رويداً حتى يغيب، وأغلبنا يقاوم خوفه من حلول الظلام قبل أن نصل إلى الحديقة البللورية، إذا بقرص الشمس يرتفع رويداً رويداً نحو وسط السماء من جديد، والسحب تحيط به وكأنها تحتضنه فى حنان رقيق دون أن يفقد لونه الأرجوانى، وجلجل صوت يقول: هذه هى الحديقة البللورية، فهلل الجميع وكبروا وخطَّ حمام كثير فى الساحة الكبيرة، واستطالت الأشجار حتى كادت تلامس الشمس.

مقدمة:

تعطلت ست كابلات من كابلات الانترنت، قيل في البحر المتوسط قرب إيطاليا، وأنا لا أفهم شيئاً في هذه التكنولوجيا الرائعة، لكنني أحسست أن "جلطة" تَحَثَرَت في شرايين دماغ العالم من حولى، العالم القريب منى على الأقل

فقد بدا لى أن شبكة الانترنت أصبحت هى المخ الأحدث للعالم البشرى، وأن البشر عبر العالم أصبحوا بمثابة خلايا هذا المخ الذى يعاد تشكيله في مرحلة برمجة جديدة، استعداداً للنقلة القادمة في تطور البشرية.

مثلاً يحدث في الدماغ البشرى الفردى تماماً حين ينسد أحد الشرايين لا يتوقف - عادة - العطب على الخلايا التى كان يغذيها، وإنما تختل الشبكة بشكل عام، وتختلف آثار الخلل الموضوعى والخلل العام حسب موقع الجلطة في الشريان (الكابل المتعطل)، ثم يبدأ المخ في مرحلة الإفاقة في إعادة التريبط re-association بعد الصدمة الأولى، ويتوقف نجاح هذه العملية على عوامل كثيرة، مثل حجم العطب، وموقعه ومداه.. الخ

كنت وأنا أتابع انقطاع التعقيبات التى تصلنى على النشرة أولاً بأول (وهى قليلة بطبيعتها)، ثم وأنا أعانى من عجزنا عن إدخال النشرات منذ السبت الماضى، ثم محاولات التفاننا حول العطب لتنزل - بفضل الإبن الصديق/ أ.د. جمال التزكى-على الشبكة العربية للعلوم النفسية، كنت كأنى أشاهد ما يحدث في المخ البشرى لفرد خطوة بخطوة إثر إصابته بجلطة في الدماغ.

وبعد

مازال العطب سارياً حتى كتابة هذه السطور (انظر نهاية البريد)، ومازالت محاولات الإصلاح مستمرة، ومازالت التعويضات الوظيفية من الشبكة النفسية العربية جارية.. الخ ما يهمنى في كل هذا هو أن أقر وأعترف أننى استشعرت أملاً جديداً لم يحظر على بالى من قبل، ليس أملاً فيما يتعلق باستمرار النشرة أو توقفها، وإنما هى فرصة جاءتنى كى أحافظ على أملى في قدرة

البشرية على تصحيح أخطائها، ذلك أني تصورت - قياسا - أن تكون هذه التكنولوجية العملاقة المتمادية في التحسن والانتشار هي القادرة - طوريا - على تخليق المخ العالى الجديد الذى يمكن أن يستوعب كل الإنجازات السابقة من حضارات وثقافات عبر تاريخ الإنسان، بل عبر تاريخ الحياة.

بريد قبل البريد:

رسالتان وصلتانى وإثر هذا التزييط التعويضى عبر الشبكة النفسية، كان المفروض أن يتصدرا بريد اليوم، لكننى سارعت بنشرهما مع الرد فى نشرة الأربعاء الماضى لأهمية دلالتها "رب ضارة نافعة (1من2)"، ولم أجد مررا لإعادتها فى حوار بريد الجمعة اليوم تجنبا للتكرار الرسالتان من الزميلان الكريمان (د.صاوق السامرائى، د. عبد الحافظ الغامدى).

بسبب هذا العطب الكابلاوى أيضا سوف يقتصر الحوار اليوم على من وصلته النشرة بالبريد الالكترونى الخاص. أو أطلع عليها بشكل مباشر أو على الشبكة العربية للعلوم النفسية. (أنظر الاستدراك فى نهاية البريد).

آسف (أمر شخصى):

لست أدرى هل هذا مكانه؟ لكننى اكتب الحوار اليوم، وقد فقدت عزيزاً منذ ساعات لم أكن أعرف أنه بكل هذا القرب، والجمال، تكلمت سابقا عن الموت، وعن الفرق بين لوعة الفقد، ونقلة الوعي، لكن يبدو أن الخبرة الإنسانية البسيطة تتجاوز كل تنظير مهما بدا وجيها ومنطقيا ومعقولا، الأسف هو بسبب أننى أقحمت هذا الخبر وهذه المشاعر فى بريد عام، لكن ماذا أفعل والنشرة تكاد تكون هى ذاتى شخصا حيا يشعر ويتعرى، وليست فقط معلوماتى أرصدها لتناقش.

الحمد لله: له ما أخذ، وله ما أبقى، نسأله الصبر، ونواصل...

أحلام فترة النقاهة "نص على نص": (حلم 115)، (حلم 116)

د. سيد الرفاعى

هل يجوز التقاسيم بالعامية المصرية بدلاً من الفصحى وخاصة فى بعض الأحلام كهذا الحلم مثلاً وأحلام أخرى؟

يخطر على بالى فكرة أساسية بخصوص التقاسيم: بأنها ليست تقاسيم ولكنها أحلام يحى الرخاوى.

د. يحيى:

بالنسبة للجزء الأول: أى السؤال، فأنا احترم الفكرة التى اقترحتها، لأنى احترم اللغة العامية وأعتبرها لغة كاملة قائمة بذاتها، مع أنها لغة شفاهية تماما، تسمع ولا تكتب، وحتى إذا قرأتها كتابة فلا بد أن تنغمها بموسيقاها، وانت تقرأها حتى تكاد تسمعها.

وأنت تعرف يا أبا السيد أنني كتبت شعرا (ديوان أغوار النفس) بالعامية ثم كتبت أراجيز للأطفال بالعامية، ثم إنى أنشر باب التدريب عن بعد كما يدور بيننا حرفيا (تقريبا) بالعامية، كذلك الألعاب النفسية، ونص المقابلة مع المرضى في باب حالات واحوال، وبعض حوار يريد الجمعة كل ذلك بالعامية، لكن يعز على في كل ذلك أنني قد لا أصل إلى الإخوة والأخوات العرب بالقدر الكافي - كما نيهي بالنسبة للألعاب أ.د. جمال التركي، وأنا لا أجد أمامي خيارا، بمجرد أن تقلب اللغة أو الحوار مع مريض إلى الفصحى، تجد شاعرا أخرى، ومضامين أخرى تصل إليك رغما عنك، شاعر ومضامين أخرى تبعدك، كما تبعدني، عن ما أريد توصيله.

ماذا أفعل؟

أما تعقيبك على أحلام نجيب محفوظ فالتقاسيم، قد كتبها محفوظ بالعربية السهلة، فجاءت التقاسيم عليها بلغتها، ونجيب محفوظ كتب رواياته، بما في ذلك حوارات الحوارى والبلطجية بالفصحى السهلة، الفصحى التي تصلك على أنها عامية، وبرغم احترامى لرأى يوسف إدريس في تفضيله أن يكون الحوار بالعامية، إلا أنني لم أستطع أبدا أن أنفذ هذا الرأى لا في كتابة الرواية (ثلاثية المشى على الصراط) ولا في قصصى القصيرة، وأنا لم أقصد ذلك أبدا، بل إنى حتى في الحوار -وجدت أن الفصحى تقفز إلى قلمى أسرع وأجمل.

ماذا أفعل؟

أما بالنسبة لتصورك في الجزء الأخير للتقاسيم على أنها أحلامى أنا، وليست تقاسيم على أحلام نجيب محفوظ، فهو تصور وارد، لكننى أنتهزها فرصة وأضيف إلى ردئى السابق:

إنه إذا كان الأمر كذلك فالأحلام لا تتشكل بالفصحى ولا بالعامية، الأحلام لها لغتها الخاصة بالصورة والحركة، ثم نحن نترجمها بعد ذلك إلى ما تيسر لنا من لغة تحكى، سواء كانت الحكاوى بالعامية كما يحدث في حكى الحلم في الحياة العادية أو بالفصحى كما فعل محفوظ في إبداعه الذى ابتدع ما يمكن أن يسمى الإبداع الحلم وليس الحلم المبدع، وكما تصورت أنت أنني أفعل ذلك.

شكرا لإضافتك وعمق إيجازك.

قصة في مقال: تقرير عن "بحث علمي"

د. سيد الرفاعى

العنوان يحتاج إلى مراجعة ضرورية على اعتبار أن الفكرة الرئيسية هنا ليست البحث العلمى وإنما شيء آخر أكثر عمقا وأشد إبلاماً وبالتالي فالعنوان هنا أراه ضعيفاً للغاية.

د . يحيى:

اشكرك أيضا، وهذا رأى جيد كذلك، لعلى قصدت بالعنوان تأكيد المفارقة بين العنوان والمتن، لكن اعتراضك وصلنى فى عمله . أرجو ألا تحرمنى من تعقيباتك بعد سفرى، فالشبكة عالمية، وهى فى الكويت مثلما هى فى مصر كما تعرف .
(برجاء قراءة المقدمة عن "المخ البشرى الجديد") .

التدريب عن بعد: الإشراف على العلاج النفسى (25)

أ . عبير محمد رجب

الفرق بين الموقف العلاجى والموقف الشخصى غير واضح بالنسبة لى، ولا أستطيع فعل ذلك مع المريض إلا إذا كنت لا أحب هذا المريض ونافرة منه، وقتها لابد لى من هذا الفصل، إلى حد ما، حتى أستطيع استكمال العلاج معه .

د . يحيى:

صحيح أنها مسألة صعبة، وتكاد تكون مستحيلة بمعناها المطلق، لكن المقصود هو ألا تصدر النصائح والآراء والأحكام التى تتطلبها حالة المريض، من موقع الموقف الأخلاقى أو الدينى أو الأيدىولوجى الخاص بالمعالج شعوريا أو لاشعوريا، وهذا من أصعب ما يمكن، أيضا .

د . محمد شحاته فرغل

بالرغم من وضوح التباين فى هذه الحالة، إلا أننى بصورة عامة فى الممارسة، أجد صعوبة فى الجمع بين ضرورة الفصل بين الموقف العلاجى والموقف الشخصى، وبين تأكيدك المستمر لنا على أن نعالج المريض "بما هو نحن" من خلال مجتمعا وبيئتنا، وتزداد الصعوبة أكثر مع سؤالك المتكرر لو كانت هذه المريضة ابنتك أو اختك فما هو قرارك فى هذه الحالة .

د . يحيى:

عندك حق، برجاء الرجوع إلى ردى على عبير حالا، إلى أن أجد الفرصة والوقت لشرح أكثر تفصيلا، فأنت تعرف ظرفى الحال، عذرا .

التدريب عن بعد (27) أزمة وجود فردى؟ أم حل مشكلة اجتماعية اقتصادية

د . ماجدة صالح

لو كنت مكان د . محمد إبراهيم لصغت هذه المشكلة على شكل المعادلة الآتية:

شاب ناضج+ عدم وجود تاريخ للمرض النفسي، كسر عند تلقيه درجة من الإهانة---> "يعنى هشاشة في التركيبة" ثم يستعيد توازنه سريعاً (يعنى متصلصم). ثم فيزا سارية "لا تعنى وجود عملي فعلي" في بلد من أكثر البلاد تأثراً بالأزمة الإقتصادية، مما يعنى إهانة مضاعفة تضاف للإهانة السابقة قد تؤدى إلى كسرة لا رجعة فيها.

أنا لو كنت مكان د. محمد لأشغلت مجهد مضاعف في اتجاه عدم سفره (وليس تأجيله)، وإعادة بناء حياته في مصر بجهد أكثر وشرف يفخر به.

د. يحيى:

شكراً

ولعل ردى على الزميل المعالج السائل كان يحوى مثل هذا الرأى "أن الحكاية بدرى قوى مهما أغاننا التحسن الحقيقى"

أ. محمد المهدي

تأكدت من أنه لا ينبغى عند إتخاذ قرار يخص علاج مريض ما، علينا أن نضع في اعتبارنا نوع الضغوط التى يمكن أن يواجهها، ومدى تناسبها مع شخصيته.

د. يحيى:

هذه مسألة حساسة فعلاً، وبرغم التعبير والتسميات التى تبدو نظرية، إلا أنها قضية عملية وواقعية تماماً.

د. إسلام إبراهيم أحمد

يا د. يحيى إزاي نحدد عمق علاقتنا بالمريض؟

د. يحيى:

بالممارسة، والنتائج، والإشراف، والنضج الحقيقى، وربنا

د. إسلام إبراهيم أحمد

مشكلة التوقيت: متى نتحرك ومتى نستطيع أن نغير، يبدو أن الحكاية صعبة أوى؟

د. يحيى:

هذه مسئولية لا تعيننا عليها إلا الخبرة الطويلة (والإشراف).

د. إسلام إبراهيم أحمد

هى المشكلة إذلال ظاهر، ومن تحت لتحت لمن يغترب منا عندهم؟ ولا مشكلة تغيير مجتمع؟ ولا تغيير ثقافة؟ ولا بعد عن الأهل والرحم؟ ولا إيه؟

الموضوع ده شاغلنى جداً.

د. يحيى:

وهو شاغلي كذلك.

أعتقد أن المشكلة هي كل ذلك،

لكن ممارسة العلاج النفسي هي للأسف في النهاية مسألة "فردية" في المقام الأول وينبغي فيها تقديم أولوية التركيز على الأهداف المتوسطة كما ذكرنا قبلا، الهدف تلو الهدف، والقرار تلو القرار، لفرد بذاته في موقف بذاته.

من الجائز أن نكتشف أمراضا اجتماعية واقتصادية خطيرة، ونحن نتناول المسائل الفردية هكذا، فنوصل ما اكتشفناه إلى من يهمه الأمر العام - ونحن منهم - وهم أقدر على تناولها بشكل أفضل للوقاية والتوعية والتصحيح، ولكن في مجال آخر.

د. محمد عزت

كثيراً ما يواجه المعالج مثل هذا المأزق مع المريض حيث يطلب المريض من المعالج مساعدته في اتخاذ القرار، وكما تعلمنا فإن المعالج يجب أن يكون حذراً إزاء مثل هذه المواقف حيث تتداخل عوامل كثيرة واحتمالات كثيرة تحكم مثل هذا المأزق العلاجي في هذا الواقع الحياتي.

د. يحيى:

أليس هذا هو ما ذكرناه تماما في الرد على الزميل السائل؟! لكن لا بأس من التكرار فهو مفيد فعلا.

أ. محمد إسماعيل

استغربت نفسي جدا وأنا بقرا الحالة لأن لقيت القرار واضح جداً جوايا، يعني إنه مايسافرش إلا بعد سنة، ومافهمتش ليه القرار واضح بالصورة دي رغم الحيرة إلیى إنت فيها إنت والدكتور محمد

د. يحيى:

يا شيخ حرام عليك، أدعو الله ألا تتعرض لمثل موقف هذا المريض بعد ارتفاع الاسعار اكثر فأكثر، والبحث عن "شقة" لتتزوج فيها وغير ذلك، أكل العيش صعب، ثم لماذا هذا الحسم بأن يسافر بعد "سنة"، ولماذا ليس بعد أربعة عشر شهرا، أو عشرة، يا أخى هناك قاعدة اسمها: "إنظر لنرى" "wait and see" أليس كذلك؟.

أ. محمد إسماعيل

استغربت كمان إنك ماجاوبتيش على السؤال في العنوان رغم أن الإجابة وصلتني، بس مش عارف ممكن ماتكونش هي الصح.

د. يحيى:

ممكن! .

أ. محمد إسماعيل

أنا قرأت التعتة بتاريخ 20-12 بس مافهمتش المثل.

د. يحيى:

إقرأها ثانية إن كان لديك وقت.

(وعموما في ردود لاحقه سوف أشرح المثل بما هو أصعب منه!!!).

أ. محمد إسماعيل

أنا عايزك تكلمنا عن الجزمة ورأيك فيها في التعتة (جزمة بوش)

د. يحيى:

هذا هو موضوع نشرة الغد (السبت)، وقد نشر أمس (الأربعاء) في الدستور

د. أسامة فيكتور

ذكر د. محمد إبراهيم في تقديمه للحالة التالي:

"...فجأة الدنيا اتحسن تخالص، وبقي عنده بصيرة، بطل اللي كان بيقلوه، وفهم كل اللي حصل له، وبقي لازم ياخذ بنفسه جرعة الدواء مضبوطة، وكمان انتظم في الشغل".

بعد هذا الإنجاز الهائل يقول إنه خائف أو متردد من قرار سفر المريض للخارج مرة أخرى، ياه ياه...!! وصلتني صعوبة عملي وخطورته ومدى الأذى الذي نعيش فيه، فبعد كل هذا التعب يظل المريض عرضة للمرض مرة أخرى، الظاهر أن عيب المرض النفسى إنه لا يعطى مناعة بعد الشفاء منه، أو تجاوز أزمته.

د. يحيى:

بل إن تجربة المرض قد تعطى صلابة حقيقية إذا أخذ العلاج وقته، وكان المرض خبرة، برغم خطورتها استطاع المريض من خلالها مع المعالج، أن يقلب النار المشتعلة عشوائيا إلى طاقة، دون الإسراع بإطفائها لتنتهى رمادا خامدا.

د. عمرو دنيا

فعلا، يا لضرورة مراعاة النظر لما سمي مستوى الضرورة ومستوى الإختيار "الحرية"، ومدى الصعوبة الشديدة للتنقل بينهما لاتخاذ القرار الصحيح.

د. يحيى:

أرجو أن تقلب ما وصلك إلى فائدة عملية.

د. نعمات على

عند أخذ قرار معين أثناء العلاج يتوقف الأمر بنسب كبيرة على العلاقة ودرجتها بين المريض والمعالج، وبالطبع لا بد من النظر إلى الظروف المحيطة بهما، وشعور المريض بأن هناك آخر ينتمى إليه ممكن أن ينقذه.

د. يحيى:

هذا صحيح.

بريد الجمعة

د. محمد الشاذلي

أؤيد اقتراح د. وليد طلعت لإصدار دورية... الخ، حيث أنه من الضروري أن يتم العمل على دعم فكر هذه المؤسسة بالدراسات العلمية، لذا عندي اقتراحان:

1- إصدار مجلة علمية تصدر ربع سنوية أو نصف سنوية، ويخصص كل عدد لنشر موضوع واحد، يحتوى على خلفية نظرية بالإضافة إلى الدراسة، مثل:

(أ) دراسة التغيرات الدينامية في مجموعة من المرضى في العلاج الجمعي خلال عام.

(ب) دراسة تأثير المجتمع العلاجي على برامج علاج الإدمان.. والعديد من المواضيع التي تتعلق بفكر هذه المؤسسة.

2- الحالات الطويلة التي تتم مناقشتها في المقطم والقصر العيني، يتم عرضها مثل "حالات وأحوال"، بحيث يتم تجميع كل عشر حالات ونشرها في كتاب ضمن سلسلة مخصصة لهذا الغرض، ويمكن أن يتم تصنيف الحالات المنشورة معاً إلى حالات اضطراب الشخصية، حالات إدمان، حالات ذهانية، ويتم التجهيز للعدد الواحد من السلسلة في 10 أسابيع، بواقع حالة أسبوعياً.

وبعد

لا أعلم إن كانت هذه اقتراحات أم أحلام، لكني أرى حماس العديد في المؤسسة للعمل والتعلم، وأرى أنه يمكن استثمار هذا الحماس والمجهود.

د. يحيى:

أوافقك تماماً،

وقد عينتك فوراً رئيس تحرير هذه المجلة انت والدكتور وليد، ولتسمها: مجلة "الإنسان والتطور".

أليس من المناسب يا محمد أن تقرأ بعض أعداد المجلة القديمة التي كانت تصدر بنفس الاسم والتي توقفت، والتي كانت تحتوى- كل المواضيع التي أشرت إليها -تقريباً-، ثم تتساءل: لماذا توقفت؟ ثم ترى بنفسك كيف أكرر تقريباً كل ثلاثاء في لقاءاتنا العلمية الإكلينيكية - الدعوة للمشاركة في إعداد هذه الحالات التي تستغرق كتابتها متى أحيانا ما يقرب من ثلاثين ساعة للحالة الواحدة؟

لكنني أصدقك واشكرك ولا أفقد الأمل لافيك، ولا في د. وليد ولا فينا. ولا في الناس.

يوم إبداعى الشخصى: حوار مع الله (4)

د. محمد عزت

يتملكنى شعور عميق، مبهم، أشعر أننى في صلاة خاشعة، بارك الله فيك وبك.

د. يحيى:

وفيك، وفينا..

الحمد لله أنك لم تبذل جهداً - لا لزوم له - في الفهم بالتفكير إياه

عن الخزي، والقهر، والذنب، والاحترام (1من2) & (2 من 3)

د. مروان الجندي

في الجزء الخاص بالتاريخ الجنسى بالمريض:

ذكر المريض "يمكن لو كان والدى شد على ما كنتش رحت، وكان بيهددني إنه حايريههم (الصور) لأمى".

- لم أفهم قصد المريض من أن والده لم يشد عليه، في إيه تحديدأ؟، هل في منعه من الذهاب للمذاكرة مع أصحابه، أم في طريقة التربية عموماً.

د. يحيى:

غالباً في كل ذلك،

وأذكرك يا مروان أننى سوف أعود لمناقشة الحالة لاحقاً بعد إصلاح الكابل (الانترنت) وإن كنت أحشى أن نكون قد نسينا الحالة، ثم نكسل في الرجوع إليها مع أن ذلك سوف يكون ضرورياً لسلامة المتابعة.

د. مروان الجندي

يبدو لي أنه كان خائفاً من رؤية أمه تحديدأ للصور الخاصة به، أكثر من خوفه من علم ببقية الأهل بذلك، حتى والده، هل في ذلك تناقض مع موقفه من أبيه؟

د. يحيى:

هذه نقطة مهمة لم أنتبه إليها، وقد يكون لها دلالة أكتشفها عند المناقشة.

د. نرمن عبد العزيز

لم أفهم موقف المريض بشكل كامل باستثناء فهمي أن النكوص دائماً أجده رد فعل للإحساس بعدم الأمان والخوف،

عموماً أنا في انتظار يومية المناقشة وفروض الأمراض Psychopathology لهذه الحالة.

د. يحيى:

وأنا أيضاً في لهفة لعرض ذلك - اجتهادا - بمجرد أن يتم إصلاح الكابل ويعود الموقع لكفاءته في متناول الجميع.

تعتة: "لأمر ما" باعت المرأة سمما مقشورا بسمسم غير مقشور!!

د. اسلام ابراهيم احمد

هى دى قيمة الديمقراطية والشفافية انهم يناقشوا القرار ويستفتوا عليه وهو مقرر اصلاً من قبل الاستفتاء فالنتيجة معروفة. ربنا يستر من الهدف وراء هذا القرار فمن الواضح واللى احنا متعودين عليه اننا مقبلون على بيع اى شئ يمكن بيعه واننا نزداد غربة في بلدنا، أكثر فأكثر.

د. يحيى:

المسألة هنا يا اسلام ليست مثل بيع بنك القاهرة أو عمر أفندي، وليست في "سورية" العبث الاستفتائي وأخذ رأى الشعب (كده وكده).

المسألة تتعلق بخدعة أخرى، وهى كما يقولون في بلدنا (بعد صعوبة فهم العنوان: لأمر ما باعت المرأة.. الخ) أنه "هَلَبَتَ فيه إنه"، يا خير، لقد صعبتها أكثر، "هَلَبَتَ" (تعنى: لايد إنّه) ثم "إنّه" (تعنى: سببا غامضا لم يكشف عنه) وترجمة القول العامى الفلاحى هذا هى أنه "لايد أن فى الأمر علة أخرى".

هذا المشروع الجارى الحديث عنه شديد الغموض مشبوه الغرض، قد يستعملون لتمزيهه أو تبريره الزعم بأخذ رأى الناس (ناس الحزب الوطنى) لكن يبدو أنه أعمق وأخطر من مخاوفك.

د. محمود حجازى

ألمح رائحة السخرية فى كلام حضرتك حول أداء الحكومة، رغم التفائل الذى يغلف كلامك معظم الوقت.

حتى الآن لم أفهم موقف حضرتك من هذا المسح للقيم واشم رائحة اعتراضى عليه.

د. يحيى:

لك أن تعترض كما تشاء .

أما أني أسخر من أداء الحكومة فأنا أفعل ذلك وأنا مليء بالخبط، وأحاول ألا أقلب السخرية قذفاً، وإن كانت تصل أحياناً إلى ما يقرب من ذلك، وهذا يزيد تفاؤلي لا ينقصه، فأنا أتمنى أن تحكمنا حكومة رشيدة مختارها بوعي ناضج، تخفف عن عبء تفاؤلي الذي يرهقني، لكن ما دام الأمر كذلك، فعلى أن أحمل - حتى وحدي، أو معك إن شئت- مسئولية تحقيق ما أتفاءل به، وحسابي على الله.

د. أسامة فيكتور

أولاً: ربنا يديم عليك نعمة الصبر والأمل والتفاؤل وهي تدوم بالشكر وأنا أثق أنك تشكر الله عليها.

د. يحيى:

الحمد لله

د. أسامة فيكتور

أخيراً فهمت إنت عندك أمل ليه في مرضى تعتعة السببت (الحكومة وأفرادها) لأنك عندك امل في أى مريض.

د. يحيى:

ياليت الحكومة كانت مريضة، إذن لكان الشفاء ممكناً!!

د. عمرو دنيا

أنا فعلاً سمعت في الأخبار والجرائد بيع الأصول والملكية وأشياء أخرى لم أفهمها فأنا في هذا الصدد لا أفهم شيئاً على الإطلاق، وربما لم أحاول أن أتوقف لأفهم، ومش عارف هل اللي عندي ده لامبالاه ولا يأس ولا إيه؟ بس أكيد حاجة مش كويسة .

د. يحيى:

بل "كويسة"!!

ألم تلاحظ يا عمرو أنني أيضاً لم أفهم، برغم أنني "أفك الخط"، (كما جاء في التعتعة)، ولا أظن أن أحداً فاهم إلا أصحاب المصلحة الحقيقية وراء هذا الملعب المسطح الكاذب، وهذا ما يعنيه تعبير أن ثمة أمراً ما، وراء كل ذلك لا يعرفه إلا من يعرفه.

برجاء مراجعة القول العامي الشائع في ردى على د. إسلام حالاً " هَلْبَتَّ فِيهِ إِنَّهُ"!!!

د. محمد عزت

المشكلة أننا، ومنذ الثورة المباركة، نتفنن في وضع الشعارات والأطر والأسس والهيئات واللجان وكل كذا (مع

الاعتذار عن التعميم) أشكال فارغة من المضمون، من الهدف، من المعنى، التنمية الحقيقية يجب أن تبدأ من تنمية الانسان ذاته، وهذه الحقيقة هي التي لا ينتبه إليها حكامنا، سواء أ كانوا عامدين أو غافلين.
د. يحيى:

أخشى ما أخشاه أن يعرضوا مناقصة "لـ ...". تنمية الانسان في "مقولة" يتقدم إليها أصحاب شركات الدواء لتسويق "نوعية حياة" بالتعاون مع شركات البترول والسلاح، لتمويل ألعاب السرك المادى المغترب، وهم يلجؤون لنا بـ "ملين الحرية" و"عسلية حقوق الانسان المكتوبة" بمعرفتهم، وليست التي خلقها الله،

ياه!!! آه!!

أ. محمد المهدي

لم أفهم بوضوح المغزى الحقيقي من وراء المثل رجاء التوضيح أكثر؟!

د. يحيى:

أرجو قراءة التعتة مرة ثانية، ثم ردى على كل من د. إسلام & د. عمرو دنيا، حالا.

أ. محمد المهدي

معتز على جملة حضرتك "ماذا سنخسر أنا أو هو مادام "كله باجان"؟؟؟"، أعتقد ان الكل خسران حتى من هم في غير حاجة لهذه الحصة، فهذه الأسهم في الشركات مملوكة للشعب ونحن لسنا في حاجة إلى بيع وشراء فينا أكثر مما نحن فيه.

د. يحيى:

لم أفهم تماما ما تقصد، وأظن في ردى على د. إسلام حالا توضيح أكثر لما كنت أعنيه في التعتة،

أما التعبير الذى وضعته، أنت بين قوسين فكان تساؤلا ساخرا وليس سؤالا يحتاج إجابة.

وعموما: فالأرجح أن الاسهم سوف تباع من الباطن لمن عنده أسهم خاصة، ولن يفهم في الاسهم ... مثلما تباع بعض الأدوية باهظة الثمن التي تصرف لمن يزعمون أنهم "يعالجون على نفقة الدولة" بواسطة أعضاء مجلس الشعب للقومسيون الطي.. الخ.

أ. نادية حامد

أعجبنى جداً المثل العربى المستشهد به في هذه التعتة والظاهر ده فعلاً (باعت المرأة السمسم المقشور بسمسم غير مقشور) أو ما يعادله (هناك هدف في نفس بن يعقوب) وراء هذا الاقتراح أو القرار المزمع إتخاذه من مشاركة المواطنين في تمك وإدارة أصول القطاع العام المملوك للدولة.

د. يحيى:

برجاء قراءة مناقشة كل ذلك مع كل من د. إسلام إبراهيم، ثم عمرو دنيا، فهي تتفق مع تعقيبك، شكراً.

الملحق: (آخر لحظة)

وصلني حالا أن الإصلاح وصل بالشبكة إلى كفاءة تسمح بإدخال النشرة إلى موقعنا مباشرة فجرى ما يلي:

أولاً: لم أغير حرف مما كتبتة قبل ذلك، على اعتبار أنني كتبتة والعطل مازال قائماً.

ثانياً: أكتب في ملحق البريد التالي كل التعقيبات التي وصلتني بعد أن تمكنا من فتح الموقع

ثالثاً: سوف اكتب للصدیق أ.د. جمال التركي حالا شاكرًا مقدراً معترفاً بالجميل، ثم أعفيه من مهمة نشر اليومية في شبكتنا الرحبة، اللهم إلا إذا رأى أن يواصل نشرها مواكبة في نفس الوقت، دون أي إرهاب من ناحيته هو أو مساعديه.

الحمد لله

والشكر لأصحاب الفضل. يحيى

ملحق البريد بعد فتح الموقع:

أ. رامى عادل: حوار/بريد الجمعة

مصباح وردى في نهار اسودّ - اشير بهذه الجملة الي ضرورة ان يراك احد، وينظر اليك، فتراه كما هو، بما هو. لماذا يحفي- الصديق /الخاله-وجهه بهذه الطريقه المزعجه المربكه المخيره؟ وكيف يحترم ويحتمو ويصان؟ اثق في امانتكم ان يكون العلاج جذري واقدر- صعوبه-تحقيق هذا ربما في مجال الطب بشكل عام.

د. يحيى:

مرة أخرى يا رامى، لو سمحت تنتظر حتى أكتب اجتهادى في التفسير واقتراح الفرض، أما أملك في شفاء الابن سامح فهو هو أملنا وأنا أشكرك عليه.

لكن ماذا جرى لك لتربط كلماتك هكذا؟

أخشى ألا يعرفك الناس، أو لعلمهم - وأنت معهم - يتعرفون على "رامى" جديد (بجتوى القديم الجميل طبعاً) ربما.

د. أسامة عرفة ربّ ضارة نافعة (2 من 2)

تعدد الأبحاث وتعدد مستويات الوعي وخبرة العلاج الجمعى في هنا والآن

في وجه شبه مع فكرة التحليل التفاعلاتي فيما يخص تعدد مستويات الخطاب بين ذوات أو كيانات المتفاعلين ألاحظ بين الحين

والآخر تعدد مستويات التواصل بين المعالج وأعضاء المجموعة على محور آخر أقرب إلى أن يكون حشد هائل من خطوط التواصل بين هذه الأناخ المتعددة ومستويات الوعي المختلفة مما ينشط معظم مستويات الاستقبال وأيضاً الإرسال لدى المعالج (وما يقدر على القدرة غير القادر (في إطار خبرة كلية مكثفة تحوى كل هذا الزخم في مقطع زمني محدد في هنا والآن .. حتى أن المعالج بعد انتهاء المجموعة يدهش حين يحاول قراءة أداءه هو نفسه داخل المجموعة فيعيد اكتشاف نفسه عبر محاور موروثة وتاريخه ومكوناته ومستويات حضوره .

كل عام وحضرتك بكل الخير

د. يحيى:

- وأنت بالصحة والسلامة

- جاء تعقيبك الآن بعد عودة الشبكة بالسلامة إلى ما يقرب من كفاءتها الكاملة، وقد خطر ببالي كما جاء في مقدمة حوار اليوم أن "المخ العالى الجديد" الذى يتكون عبر هذه الشبكات، له نموذج آخر في العلاج الجمعى استوحيته الآن من تعقيبك، أعنى أن للمجموعة مخ واحد "وأن أفراد المجموعة هم خلاياه" ... الخ وهذا موجود في نظريات نفسية كثيرة مثل النظريات التى تتكلم عن "الجال" و "الجشالت" وهى أمور تحتاج إلى عودة ومقارنة ولغة ومرونة

شكرا يا أسامة

وحمدا لله على السلامة

د. أنس زاهد التدريب عن بعد: الإشراف على العلاج النفسى (26)

لفت نظري يا دكتور أن الزوج ينتظر زوجته في السيارة عندما يوصلها إلى العيادة؟ لماذا لا ينتظرها في العيادة نفسها؟ لقد ربطت بين هذا السلوك وبين نظرة الزوج إلى الطب النفسى حيث لم يكن متحمسا لذهاب زوجته إلى الطبيب على اعتبار أن اللي عندها شوية دلغ .

د. يحيى:

هذا جائز

شكرا

د. حمد أحمد الرخاوى : يوم إبداعى الشخصى: حوار مع الله (4)

يغشاني

تبتعد لاقتراب

تتغمدني برحمتك برغم غبائي
توقظني بحرمانني فأستفيق
لا اخرج من مداراتك الا ان اضل
يجلدني سياط السوي
افزع الي نفسي
فاجدك اقرب من حبل الوريد
فيا حي يا قيوم لا تحرمني بخروجي من نفسي
فانا منك اليك بك
يارب كما خلقتني
يا رب كما خلقتني
احب الخلق
واحب الامانة
فاعني بها كي يغشاني نورك
لا احب الترهيب
فلم تخلقني له
د . يحيى:
"ماشي"!!
هذا طيب.
فاحذره!!
د . محمد نشأت

من خلال المقابلة مع سامح.. ما رأي حضرتك الآن في وصف
(العيان متفركش)؟

د . يحيى:

واضح لي، ولعله واضح لك، أنه لا توجد "فركشة" بالذات
كما تصورت الزميلة مقدمة الحالة، لكن لا تنسى يا محمد أن
نوع المقابلة هكذا، تلملم المريض حتى لو كان "متفركشاً"

د . محمد نشأت

الجملة اللي كتبها سامح (خرج ثم عاد إلى البيت) وأصر
عليها.. هل ممكن تفسيرها بالنكوص (Regression) ؟

د . يحيى:

ليس تماما، فبرنامج "الدخول والخروج" الذي أحاول
توضيحه كثيرا ليس نكوصا وإنما هو برنامج نمائى ضرورى رائع،
إذا سار في الاتجاه الصحيح.

(وانتظر تفسير المقابلة، والحالة، أو فروضها).

484- الحذاء الطائر، والبصقة العالمية، ومسئولية الفرحة !!!

تعتة

لا أستطيع أن أخفى فرحة مشاركة بهذا الحذاء الطائر، فرحة خالطتها فوراً غصة رافضة لهذه الفرحة، ثم لحق هذا وذاك تأمل حرج مؤلم. صدق أو لا تصدق أنني لم أشاهد هذا المنظر على شاشات التلفزيون حتى الآن، ولعل عزوف ذلك كان مقصوداً من داخلي، حتى لا أجزُرُ إلى مشاركة في فرحة مشبوهة لست راضياً عنها، صحيح أنني طلبت من البعض أن يرسل لي اللقطة إلكترونيا لأشاهدها متأنياً بطريقتي التي شاهدت بها أوباما راقصاً مع المذيعة الأمريكية وهي تصحبه إلى كرسي في لقاء تليفزيوني، وأنتى التقطت من تلك اللحمة الراقصة لهذا النوب الأمريكي الرشيق أكثر مما وصلني من كل تصريحاته، وكان يمكن أن ألتقط من وجه بوش أكثر من تعبيرات فردتني الحذاء وهما تتلاحقان باصقة عليه، هكذا سمحت خيالي أن يصور المنظر، وسوف أكتفى بالتعليق الموجز على بعض لقطات من صفح اليوم الذي أكتب فيه هذه اليومية: الجمعة 19 الجاري،

الرصين الرزين فهمي هويدى بدأ مقاله اليوم (وهو تكملة لمقال أمس) هكذا: "أصعب ما قرأت في التقارير الصحفية التي تابعت حدث قذف الرئيس بوش بالحذاء، أن جهات التحقيق شغلت بالبحث عن حالته النفسية والعقلية، .. إلخ . شاركته رفضه تماماً، فكم نبهت إلى الإهانات والجهل والغباء وسوء الاستعمال التي تُتناول بها ما يشاع من معلومات متعلقة بتخصصي، من أول حادث بنى مزار حتى مقتل نادين وهبة . بالله عليكم: أيهما أحق بفحص قواه العقلية؟ القاذف أم المقذوف؟ بل إنني أرفض ابتداء ترير القتل والإبادة، أو حتى الخروج عن العرف والتقاليد، بلصق أسماء أو سمات أمراض مرضى عليها، فأنا أحترم مرضى وأعلم أنهم أرق وأنبل من قسوة هذا المقذوف المسخ البشع، قاتل الملايين من الأبرياء في ديارهم، وهو يزعم أنه يعلمهم ألف باء الكرامة والحرية، هذا الشاب الغاضب تمص كل ناس الأرض في لحظة فارقة، فاض به فأرسل بصقة في صورة حذاء على هذا المتبلد الذى أضحك العالم بغياؤه القاتل ثمانى سنوات ضحكاً أكثر إيلاماً من كل بكاء، ثم ها هو لا يجدل أن يعتذر - وهو يغادرننا- بنفس

الغباء، وكأنه نادل يعتذر لزبون لسع لسانه بحساء ساخن، ومع أنني فهمت غضب هويدى القاسى، إلا أنني توقفت عند قوله: "...ولا أخفى شعورا بالقرف والرثاء إزاء الذين انتقدوا ما جرى....." ثم حدّد ذلك: "... في العالمين العربي والإسلامى... إلخ"، الرثاء جائز، أما القرف يا أستاذ فهمى فهو غير جائز، ثم إن الفرحة لم تكن قاصرة على العالم العربى والإسلامى، أنا لم أميز -مثلا- فرحة إسلامية أو عربية في الصورة المنشورة بالوفد اليوم عن: "...مظاهرة بالشموع أمام القنصلية الأمريكية في لاهور..". الصورة تنصدها فتاتان جميلتان، تحملان صورة الزيدى بيد، وشموع جميلة أيضا بالأخرى، توقفت عند مغزى الشموع، ووجهى وعيون الفتاتين الجميلتين، وتصورت أن هذا المنظر الرقيق هو ترجمة لموقف عالمى أمل وراء الفرحة بمعنى هذا الخداء الطائر، إنه تعبير عن الرفض الساخر لكل القتلة السفلة الأغبياء، جنبا إلى جنب مع التلويح بأمل واعد (الشموع) لإنارة الوعى البشرى كله من خلال هذه الرسائل، العالم كله يعلن احتقاره لهذه السنوات الدموية التى قادها هذا الغي المتبدل، لكنه يضىء الشموع تحملها هذه الوجوه الجميلة، تعبير وصلنى أبلغ ألف مرة من صورة "الوقفه بالأحذية للتضامن مع الصحفى العراقى أمام نقابة الصحفيين عندنا".

أختم هذا التعليق المؤقت مضطرا، بذكرى صورتين حداثيتين دالتين: الأولى للرئيس خروشوف في الستينات وهو يلوح بجذائه ثم يضعه أمامه في اجتماع رسمى للأمم المتحدة، والثانية لعجوز مصرى جميل كان بجوارى حاجا في المزدلفة، حين خلع حذاءه بعد الانتهاء من قذف الجمرات، وراح يقذف إبليس، وهو يصيح غاضبا "خذ يا بن ال...". (كلمة لا تكتب) - (طردت من خيلتى قباقيب شجرة الدر، وحذاء أبو تحسين على تمثال صدام)

رجعت إلى فرحتى المكتومة بمحادث الخداء الرمز، باعتباره البصقة الغاضبة العالمية، فتأكدت أنها ليست "ابتكارا عراقيا" كما قال أسامة عكاشة في "وفد" هذا الصباح، بل هى تعبير عن احتقار عالمى (وليس فقط عربيا أو إسلاميا)، يعلن موقف الناس - كل الناس- من هذا المسخ الغي القاتل، ثم فهمت رفضى فرحتى وفرحة الناس أنه خوفا من أن تكون هذه الفرحة هى تفريغ عاجز، لا أكثر.

لا أحد يستطيع أن يكتم فرحته بهذا الرمز، ولكن لا يصح أبدا أن نفرح بفرحتنا إذا لم تدفعنا فورا لنعمل ما يترجم هذه البصقة إلى فعل قادر على التغيير عندنا وعبر العالم.

485- التدريب عن بعد: الإشراف على العلاج النفسي (28)

هل يحدث تحسن بهذه السرعة؟

د. مصطفى مدحت: عندى عيان عنده 29 سنة، غير متزوج، من الشرقية، موظف في شركة الصبح وبعد الظهر يشتغل مؤذن في الأوقاف.

د. يحيى: هي شغلانة المؤذن اللى هوّه فيها دى بالتعيين؟ ولأ جدعنة؟ يعنى هي الأصل؟

د. مصطفى مدحت: أبوه هو متعين، بس حصل عليها بطريقة معينة، يعنى زى واسطة، هوّا متعلم للغاية تالته اعدادى، قعدت معاه علاج نفسى "سبع جلسات"، هوّه جالى يشتكى بأفكار بتلج عليه إن عنده الزهرى، وتغيير في حجم العضو التناسلى، وإنه خايف إنه ممكن يتقلب ست.

د. يحيى: ليه الزهرى "بالذات"؟ ما عاdash حد بيتكلم عنه دلوقتى.

د. مصطفى مدحت: هو فعلاً ماكانش عارف يعنى إيه زهرى، وكان تقديره: إن أى راجل يقرب منه في الأتوبيس يبقى ده مصاب بيه، ويبقى حايتهدى منه، غير كده: هوّ كان عنده أعراض اكتئاب، يعنى: قلة النوم، وقلة الأكل، عدم الانتظام في العمل، وكده... في الجلسة الثانية على طول، حاولت أشرح له يعنى إيه زهرى، ومراحله، وكلمته خفيف خفيف عن الإيدز قمت لقيته في الجلسة الثالثة جه يشتكى من أفكار عن الإيدز وقلّ كلامه عن الزهرى.

العيان له تاريخ جنسى مليون، بدأ بانتهاك، واستعمال، وهوّا عنده خمس سنوات من أحد الجيران (واحد سنه 18 سنة) لكن ده حصل مرة واحدة، وبعدين العيان بيقول إنه بدأ العادة السرية وهو عنده خمس سنوات برضه،

د. يحيى: متأكد؟

د. مصطفى مدحت: أبوه، وبعد كده ألعاب جنسية خفيفة من الظاهر مع عيال قده، ولما بقى عنده عشر سنوات بدأ ممارسة مع الحيوانات، وبالذات القطط

د. يحيى: اشعنى القطط يعنى؟ دى أصعب حيوانات فى الحكاية دى؟ تفتكر تفرق؟ المهم، إنت عارف إن فى الأرياف حكاية الحيوانات دى كتير لدرجة إنها ساعات تبقى مرحلة عادية وهى يمكن لها علاقة باللى بيشفوفه بين الحيوانات، فيه حاجة تانية؟

د. مصطفى مدحت: أيوه، هؤا برضه عمل مع طفل عنده تسع سنوات بس مش كتير.

د. يحيى: هه، وبعدين؟

د. مصطفى مدحت: ابتداءً من عند 16 سنة بدأ ممارسة مثلية بالتبادل مع أولاد فى سنه

د. يحيى: كانت ممارسات كاملة؟

د. مصطفى مدحت: أيوه.. هو بيقول كل الممارسات دى استمرت لغاية ما بدأ التعب من 8 سنين

د. يحيى: يعنى من سن 5 لحد سن 21 سنة عمال يتنقل بالشكل ده، مابطلى

د. مصطفى مدحت: بالنسبة للتعب اللى بدأ من 8 سنين كانت زادت ممارسته للعادة السرية، وفى مرة أثناء ما بيعملها حس بكرشة نفس، وألم فى منطقة الشرج، ودى كانت بداية التغير.

د. يحيى: إنت بتقول انه شغال مؤذن.. هل بيؤم الناس فى الصلاة؟

د. مصطفى مدحت: لأ.. ما حصلش.. هو بيأذن وبيقوم بأعمال النظافة بش.

د. يحيى: بقاله قد ايه متعين مؤذن؟

د. مصطفى مدحت: تقريباً 10 سنين

د. يحيى: يعنى قبل بداية العيا بسنتين.

د. مصطفى مدحت: لما كلمته عن شغلانة المؤذن دى .. قال لى: هو ممكن يبطل أى شغلانه إلا الشغلانه دى.

د. يحيى: سألته ليه؟

د. مصطفى مدحت: قال إنها بتقربه اكر من ربنا، بيحس إنه فيها بيلاقى نفسه

د. يحيى: مش فيه تناقض برضه بين الشغلانة دى والتاريخ ده؟

د. مصطفى مدحت: أيوه، بس هؤا ما جابشى سيرة لأى علاقة بين ده، وده،

د. يحيى: السؤال بقى.. السؤال بالنسبة للعلاج النفسى، دى حالة زحمة قوى

د. مصطفى مدحت: أنا مستغرب إن في الفترة القصيرة دي "7 جلسات" بس، رحت شايف إن العيان اتلمّ بسرعة أكثر من اللي كنت متوقعها من أعراضه، ومن تاريخه المليون ده، فبقيت قلقان من اللي حصل كده يعني مثلاً ماكانش عنده أمل إنه يتزوج خالص وماكانش منتظم في الشغل لدرجة انه كان عايز يبطله، بعد شهر واحد لقيت أن العيان بدأ "يتحرك"، ويعمل حاجات ماكانش بيعملها: يصلح حاجات في البيت، يعامل الناس كويس، بينتظم في الشغل، يفكر في مستقبله، وفي جوازه أنا استغربت.

د. يحيى: تقصد العيان مش بس أحسن بالنسبة للأعراض، دا كمان بقى يبادر في حاجات، من غير ما حد يقول له، إنت زعلان ليه بقى؟

د. مصطفى مدحت: هل ممكن يحصل ده كله في فترة قصيرة زي دي؟

د. يحيى: البركة فيك يا أخي، لكن قل لي: هل موقفك العلاجي حايتهغير لو كانت إجابتي "نعم" أو "لا"؟

د. مصطفى مدحت: أظن موقفى من المريض كعلاج، أنا شايف إنه مش حايتهغير.

د. يحيى: أيوه كده، يبقى ليه السؤال، يعنى انت حاتعالجه حاتعالجه، وحاتكمل سواء أنا قلت لك ممكن التحسن يحصل بالشكل ده أو مش ممكن؟

د. مصطفى مدحت: أيوه، طبعاً

د. يحيى: بصراحة فيه حاجات مهمة نتعلمها من العيان ده: أول حاجة هي انتظام العيان في العلاج وشوف بيحي منين، من الشرقية، دي لوحدها علاقة إيجابية في علاقتك بيه، تاني حاجة: تفاصيل التاريخ الجنسي دي عايزة وقفة، ولو إن فلاح وعارف المسائل دي بتمشى إزاي، بس أنا مش متأكد إن كل اللي قاله ناخده على إنه حقيقة، ولا خيال، يجوز كله صح أو جزء منه صح، مثلاً حكاية القطط دي مش مألوفة في الفلاحين، زي ما يكون المسألة عايزة مراجعة، هوأ عموماً في الفلاحين الحكايات دي عندهم عادية، ويتعدى المسألة من مرحلة لمرحلة، وما بتعلقشي كثير، لكن مش بالكثرة دي ولا التعدد ده، ولا بالتنوع ده، أنا مش متأكد، وبعدين بالنسبة للعادة السرية مثلاً اللي بدأت عند سن 5 سنين هل كان فيه "ذروة" (أورجازم)، طبعاً مافيش قذف في السن دي، إنما في البنات الصغيرات ساعات يبقى فيه "ذروة"، في الأولاد مش متأكد.

د. مصطفى مدحت: كان فيه انتصاب من غير قذف، إنما هوأ بيقول كان فيه "ذروة"

د. يحيى: الانتصاب ممكن، بس الذروة واسعة شوية، ثم إن الكلام ده بداية من سن خمسة، ودي الفترة اللي فرويد بيقول فيها إنها فترة كمون، إنما الجدع ده ما يطلشي، حسب كلامه، وزى ما يكون الجنس عنده قعد نشط طول الوقت بدرجات متفاوتة لكن مش لدرجات وأنواع الانحراف اللي هوأ حكاها، وبرضه يمكن ده خلأه قعد يكبر من غير استقطاب بين هوية ذكورية

وبين هوية أنثوية قوى، فقعد ممشى نفسه يا إما بالخيال يا إما بشوية واقع، لحد ما بدأت الوسواس والرهابات تنبئه إنه كده ما ينفعش.

د. مصطفى مدحت: أيوه مع بداية العيا هوه بطل كل ده

د. يحيى: والله ما انا عارف بطل ممارسة ولا بطل تخيل، الظاهر إن النمو الجنسي بتاعه مشى متوازى فى كل الاتجاهات، ومشى بس النمو الجنسي دا باين نمو القيم أيضا، يعنى هو مؤذن وبيلاقى نفسه فى شغلته الدينية دى اللى بتخليه "يقرب من ربنا"، وفى نفس الوقت هو موظف بعد الضهر فى شركة، ولا عمره ربط مشاعره، ولا الخكاوى اللى بيحكىها بشغلة المؤذن، أو بصورته وهوا على المادنة بياذن، أو بيقيم الصلاة، ولا عمره حكى لك عن شعور بالذنب وهو عمال بياذن ولا هوه هم.

سواء كان اللى حكاه ده حقيقى، أو جزء منه حقيقى، فالظاهر إنه قعد كده لحد سن 21، أنا شايف إنه ما دخلشى مع نفسه معارك وصراعات وكلام من ده، الحكايات مشيت جنب بعضها لحد ما لقاها كفاية كده بقى، قام حاول يلم نفسه ما قدرش، فظهرت الأعراض النفسية قلق واكتئاب ووسواس ورهابات وكلام من ده، أنا بافتراض إنها ظهرت علشان يساعد نفسه إنه يتنح، راح لجأ لأقرب حاجة تمنعه من الممارسات دى. فخوف نفسه من إنه يمرض بالزهري، وبعدين لما انت طمنته على حكاية الزهري دى، نقل على الإيدز.

زى ما يكون هوه راح عامل ضمير أو والد من خلال المرض عشان يموش نفسه، ويموش خيالاته برضه، يعنى استعمل المرض كمرحلة، وبعدين ما صدق لقى العلاج شبط فيه، لأن المرحلة مرحلة، عشان كده انت تلاحظ رغبته فى العلاج، وإنه بيجيك بانظام. سفر ساعتين كل أسبوع، يعنى المرض هنا عمل عنده دور إيجابى، وبعدين لما جالك وشعر بالسماح، إنك ما حكمتش عليه فاتلم أكثر وراح عاملها وخاف، فانت تخضيت.

د. مصطفى مدحت: أيوه استغربت

د. يحيى: المسألة اللى خضتك لما أحسن فجأة ممكن تكون حاجة من اثنين: يا إما هرب فى "شبه الصحة" Flight into health يعنى اتوكل، وراح مستعمل ميكانيزمات جديدة وكتم عاخر عشان يبقى "عادى"، يا إما يكون نموه كان بيتحرك طول الوقت، وانحرافات ما كاتش تثبتت ووقفة، زى ما تكون كانت تجريب وتعدى، فهو جالك جاهز وكانت حركية النمو عنده لسه نشطة، فلما اطمأن لك وصدق سماحك، راح عاملها وقال لك يا واد ما فيه سكة دى، واختار العلاج وإنه يكمل نموه، بدل كل الهيصمة سكة، وبدل الحل بالمرض برضه.

د. مصطفى مدحت: طيب وإزاي أعرف إنه هرب بالميكانيزمات فيما يشبه الصحة، ولا هى فرصة نمو وهو لقطها وحاكمل زى ما حضرتك بتقول؟

د. يحيى: ما هو هاييجى غالباً، فإذا لقيته انطفأ وبطل يحكى بسهولة وطيبة، وبعدين ابتدأ يستمع المشوار، ويفاصل فى المواعيد، يبقى فى الغالب التحسن ده دفاعات، إنما إذا كانت الطيبة لسه منتظمة، والعلاقة بتنمو رغم اختفاء الأعراض، يبقى فيه احتمال نمو بصحيح، وما تخافش من سرعة التحسن لأنه ماعملش كده فى سبع أسابيع، لأ، دا جايلك محضّر نفسه ثمانية وعشرين سنة، وأنت جيبت فنشنت الحكاية، بطيبتك وجهك الجميل، عشان انت صغير، وواخدها جد فى نفس الوقت.

ملحوظة :

النص ليس حرفياً تماماً كما هى العادة، لكن الجرعة زادت فى هذه الحالة أكثر، للتوضيح ولتجنب الحرج باستعمال ألفاظ بذاتها.

486- يوم إبداعى الشخصى الـذرام والحزام

قبل النص

حين حضرت صباح اليوم (الأحد) لأختار من إبداعى الخاص ما يصلح لنشرة الغد المخصصة لذلك، فوجنت بأخبار مزجة غزة، مجزرة غزة، سلخانة غزة، طبعاً لا أستطيع أن أصف مشاعرى، وما فائدة المشاعر أصلاً؟ وما فائدة وصفها؟ وما فائدة الكتابة؟ وما فائدة النشرة؟ وما فائدة الحياة؟ وما معنى أى شيء لأى شيء إن كان العجز قد وصل إلى هذا الحد؟ وما فائدة نشرة اليوم بالذات: إبداعى الخاص؟؟!! لماذا؟ وما فائدة الشبكة العربية للعلوم النفسية؟ وما فائدة العلوم النفسية؟

بحثت عن تفاؤلى العنيد الذى وصل إلى حد المرض كما أزعم، نعم هو مرض بقدر بعده عن الواقع، وهو شديد البعد عن الواقع، بحثت عنه فلم أجده، هرب منى، هو دائماً يهرب منى كلما شعرت بما أشعر به الآن من عجز وغيظ وغضب وجزع وجنون، كلما حدث مثل ذلك أصاب بشلل ما، أصمت وأنسجت وكأني مِتْ فعلاً، ثم أنفجر للأمام قبل أن تزهق روى مباشرة، ألملم نفسى، وأنا أستعد للجولة القادمة، ولا أجد إلا الكتابة، لا لتفريغ ما بي، وهو لا يفرغ، ولا ينتهى، ولكنها - الكتابة - تذكرنى بمسئوليتى.

يبدو أن هذا نفسه هو ما حدث لى سابقاً ودفعنى أن أكتب القصة التى نشرت منذ أسبوعين بعنوان "نقرير"، أثناء كتابتى تقريراً عن بحث علمى، كان ساعتها يجرى حول ما ينبهنى إلى احتمال مشاركتى مجرماً مساهماً، كما ذكرت، هذه القصة المقال سبق نشرها فى الأهرام سنة 1982، ومازلت أذكر جزع وألم كل من قرأها آنذاك، لكن ماذا فعلنا بالألم أو فعل بنا الألم؟ وحين أعيد نشرها الأسبوع الماضى، أحدثت نفس الألم عند من عقب عليها وكانها كتبت للتو (قبل مزجة أمس)؟ لكن، مرة أخرى: ما فائدة الألم، وما فائدة الكتابة؟ إلخ،

الألم هو الألم، والعجز هو العجز، لكن أياً من ذلك لا ينجح أن يثنينى عن تحمل المسئولية، شخصياً، أولاً، ولو وحدى، قفزت على سطح ذاكرتى صورة أخرى، كتابة أخرى، كتبتها فى مثل نفس الموقف، ربما بمثل نفس الدافع، ربما لمثل نفس الغرض، ونشرت فى الأهرام أيضاً فى 17 أكتوبر 1985.

الآن، لم أعد أستطيع أن أجد عندي ما أعبر به عن موقفى مما بلغنى هذا الصباح إلا أن أعيد نشر تلك القصة، أعيد نشرها لأن شيئاً لم يتغير، إلا بداخلي، أصبحت واعياً أكثر فأكثر، وأنا أقبل التحدى بقدر ما أتحمل مسئولية التفاوض حتى لو كان مرضاً فعلاً، حتى لو أصر أن يقول ويعيد:

"إنه بالرغم من كل هذا، فإننا نحن - الناس - (وليس فقط العرب) هم الذين سوف ينتصرون، حين نتحمل مسئولية تفاؤلنا والدماء تجرى من حولنا، طالما هناك دماء تجرى في عروقنا، لا مفر من مواصلة معركتنا بشراً معاً، اللهم إلا إن تحولت الدماء في عروقنا إلى مياه راكدة آسنة عفنة، وأنا لا أرى أن هذا محتمل، وإن كان يمكن أن يكون هذا هو ما يجرى في عروقهم هم، فهم المنقرضون قبلنا، "هم" ليسوا فقط الإسرائيليون، ولكن كل من لا يثور ضد الجارى لصالحه قبل صالحنا، لصالح الناس، كل من موقعه بطريقته طول الوقت".

النص:

الذراع والحزام

تمتد الذراع الأفعى إلى حيث لم احتسب، تنسحب اليد اللزجة فوق المجرى المخفى في ثنايا السترة، تلتصق الأخرى على قفأى، يتنخم صوت خشن دون توقف حتى أتبين أنها قهقهة تصدر من أمعاء مغمور لم يتقيأ، يبصق على وجه ابنتى النائمة في حجرى قائلاً:

.. كله بثمنه .. واللى عاجبه

الممثل الأكبر يدهن شعره المصبوغ بشحم نتن، يتحدث عن العدل القاتل والرد المलगوم، وصدر تشريع احداث لتقنين النذالة والوعدنة الموجهة، اى والله.

أتقيأ شعرى، أوزان قصائده حجارة من سجيل تلطم وعيى، افتح درج مكثى لأبحث عن نتائج، آخر بحث علمى لم افسر بعد نتائجه، أرقام مرصومة في جداول معقدة، يشغلوننا - طول الوقت - بهذا العبث الدائر حول جزئيات الجزئيات، أعثر مصادفة على عقد زواجى فأخفيه بعيداً خشية تمزيقه، ألعن ميثاق الأمم المتحدة والوصايا العشر، وإعلانات العمرة السياحية.

اخجل من مجرد التفكير، لا أجرؤ أن أتطلع في وجه حفيدى، يستدير - نائماً - يخفى وجهه في رحم وسادة صغيرة، ليست نظيفة، ألعن الانتخابات والصحف وأبراج المساكن والمدن السياحية واسعار الدولار واطمس أحاسيس غافلة لم تطمس بعد خشية أن تشتعل منى لا أعرف إلى أين.

ما عاد يجوز .. ما عاد يجوز..

أتبين غول الغضب يجرى في كل دروب وجودي
فهو القتل.

فرض كفاية، أظن كفاية، بل فرض عين لا يسقط ابدا، لا يسقطه أن تحارب كل الأجنة في بطون أمهاتها، لا يسقطه أن يتبدل الناس غير الناس، العار يصبح عارا أبشع اذا عبثت به عتمة الذاكرة أو مؤتمرات القمة.

سوف أقبل الدعوة، هذا هو رقم تليفون قريبي الذى كان يعمل بالمخابرات، هو يكرههم أكثر من كراهيته لذئب مسعور يجرى جائعا في روضة أطفال، سوف يدلى على نوع المتفجرات وطريقة التشغيل، لابد أن تكون الزيارة "العلمية" الثالثة أو الرابعة حتى يطمئنوا، زملائى حسنو النية مهدوا الطريق، الأسس النفسية للتفاوض الدولى (!!) ليكن بحثا علميا يحتاج لمقابلة الصقور والحمام مجتمعين، سيكولوجية العلاقات الحازمة الإثنية (أى كلام: بكاهلشا رونيزيز) - الحزام رقيق السمك تماما، والتحكم من خلال قلم حبر جاف، يتحدث النقاش العلمى، انفجر، بى- فيهم .. معلنا وصيتى، رسالتى

أنتقل عبر الحاجز غير المرئى أشعر إني أخف وزنا حتى اتصور - فرحا - أن الطيران اللولوى الصاعد سوف يدوم، إلا أن ثقلا يدب في أطراف أصابع القدمين، ينسحب للساقين فالجذع، يجذبني الثقل إلى أدنى أهبط - غير مصدق - في رعب ساحق، لماذا؟ ألم افعل ما ينبغى؟ الا يكفى؟

أحاول أن أفيق مرتين بلا جدوى.

لا أعرف السياحة والبركة آسنة بلا قاع، أغوص - رغم زئبقية القوام - في منقوع العار والمرارة (لم تكتب سناء المحيدلى قصة، لم تقرض شعراء، ولا قامت ببحث علمى لمؤتمر يستمى)

لا أجد عذرا انتحله

عينا يتوارى خجلا من استمراره حيا.

بعد النص: 2008/12/28

أتمطى بعد ربع قرن، فأكتشف أنى مازلت حيا

جدا

الألم هو الألم، والدماء الشريفة مازالت طازجة تؤكد أن الحياة تتجدد

لا أخجل

لا أتوارى

لست عينا بعد!

ولن أكون

ملحق النص:

(قبل القصة "الذراع والحزام" بثلاث سنوات ونصف-
الأهرام: 4-8-2002)

معنى آخر للجمال

وسط كل هذا التذبيح، والقتل، والتجويع، والإبادة، والإهانة، والاستهانة، هل يوجد مكان للحديث عن الجمال؟ لابد أن للقبح معان أخرى كما أن للجمال معان أخرى، هل يوجد أقبح من تستمع لهذا السيد المسمى بوش وهو يصرح أى تصريح ولا تشعر بالغيثان. تعلمت من غثيان سارتر كيف يكون القبح مثيرا لمثل هذا الرد المعير عن التقزز، إنك حين تسمع هذا الدبليو بوش وهو يطلب من عرفات أن يبذل جهدا أكبر لمكافحة الإرهاب وقد قطعوا عنه الماء فلم يعد يستطيع أن ينظف نفسه أو يتوضأ، أو وهو يوصى صديقه وحليفه شارون ألا يطرد عرفات حتى لا يمارس الإرهاب من الخارج، (وليس لأى سبب آخر)، وكل تصريحاته كذلك، لا تملك إلا أن تصاب بالغيثان وهو أقبح أنواع القبح. ذلك القبح النشاز المثير للنفور الفاتر اللزج المسخ.

هل يوجد بعد و وسط كل هذا القتل والإهانة والإذلال والتجويع، والخطرة مجال للحديث عن عكس هذا تماما، عن الجمال؟

ما هو الجمال؟ وكيف يجد مكانا وسط كل هذا ؟

لا أعرف ما الذى جعلنى أخاطب وفاء إدريس فى نهاية مقال نشر لى فى موقع آخر(الوفد: 2002/2/6) قائلا "ما أروعك يا وفاء، وأنت تقلبين كل خططهم بكل هذا الجمال"، راجعنى بعض الأصدقاء والقراء عن مدى تناسب هذا الوصف مع صورة وفاء وقد تنائرت أشلاؤها بما يثير آلام وحسرة ذويها وكل من يجيها، لم أجد إجابة جاهزة حتى أننى كدت أراجع نفسى كأن اللفظ قد قفز منى رغما عنى. لكننى حين طالعت بعد ذلك بأسابيع وجه آيات الأخرس وعشت - تقمصا ما أمكن ذلك - خبرتها وهى تودعنا لتلحق بأختها منال وإخوانها بلا حصر، عاد إلى وعيى ذلك الوصف الذى غمرنى وأنا أشير إلى رحيل منال رغم الدم والأشلاء والآلام .

ما الحكاية؟ أى جمال فى هذا الفعل الرائع؟

يمكن أن نتكلم عن البطولة، وعن الشجاعة، وعن التضحية، وعن الإيثار، ولكن أن يوصف هذا الفعل بالجمال هذا هو ما توقفت عنده أحاول تفسيره

دون الدخول في تنظير حول فلسفة الجمال، وصلني من خلال مغامرة القلم هذه أن الجمال ليس مجرد تناسق الأجزاء في كل قادر أن يعيد تناسق وعي المتلقى بما تيسر، لكنه حضور جدي بين وعي إنساني، ووعي إنساني أو إلهي آخر في حالة تصعيد بلا نهاية. الجمال حركة منفرجة ضامة مفتوحة النهاية قادرة على تحريك مواز ليواكبها. الجمال تآلف بطول الزمن الممتد، وبعرض الطيف غير المحدود، كل هذا لا يتحقق بشكله المطلق إلا في حالة من الوجد الصوفي الذي لا يوصف.

هل هذه هي الرسالة التي وصلتني من وفاء وآيات وكل أولادى وأحبائي وأنا أنظر في عيونهم بعد أن رحلت أجسادهم عن مجال حواسنا الأدنى لتتآلف في المطلق غير المتناهي؟ ربما، وربما هذا هو الذي جعل الألم الذي يعتصرني لا يعنى من استعمال تعبير الجمال في وصف رحيل أجسادهم دون اختفاء دورهم.

لحن الاستشهاد هذا هو الذي يملأ الوعي بتأكيد العلاقة الوثيقة بين الحياة والموت، ليسا كضدين، ولكن بتوليد أحدهما للآخر، وهو هو الذي يؤلف بين الفرد وناسه، بين الحدود والمطلق، بين الدنيا والآخرة، هذه العلاقة لا يمكن أن توصف إلا بالجمال، دون أن يجرمنا هذا التناغم من أن نتقطع أما ونجزع فرقا.

إن الذي يقرأ وصف الآخرين من الثقافة الأخرى لهؤلاء الشباب لا بد وأن يشك في سلامة وعيهم، ونقاء ذوقهم، إنهم يتحدثون عن هذا الجمال بأقبح الأوصاف، لم يذهب أحدهم إلى مرآته، ويمسك بأي آلة حادة، ويقربها من عنقه، ثم يسأل نفسه ما هو الدافع الذي يمكن أن يجعلني أغرس هذا النصل في عنقي هذا اللهم إلا أن يكون الشديد القوى الذي لم يعد يطاق؟

الفلستينيون المحتلون المهانون المستعملون المذلون يضحون بجياتهم الواحد تلو الآخر ليس نتيجة للإحباط وإنما هي استراتيجية انتحارية؟ والإسرائيليون وهم يحتلون أرض غيرهم، ويهيئون خلق ربنا، ويبصقون على كل الأعراف، ويمزقون كل القرارات الدولية، هؤلاء الإسرائيليون هم الذي يقومون بهذه المجازر الاضطرارية نتيجة للإحباط، شكرا يا سيد سترو.

لا أحد منهم يفهم معنى الموت الجميل، لأن لا أحد منهم يريد أن يتقمص هذا الوجه الجميل آيات الأخرس، حتى لو عجز فريدمان عن ذلك، فليناد ابنته أو حفيدته في مثل سن آيات، أو أكبر أو أصغر قليلا وليتطلع في وجهها ويتصورها وهي تلف حزام التفجير حول وسطها الرقيق، ويسألها أو يسأل نفسه، ما الذي يجعلها تهدر كل هذا وتحرمه منها، وتحرم نفسها من كل آمالها وحبها وحلمها؟ إستراتيجية العمليات الانتحارية؟ لا يا شيخ!!!! آيات لم تسمع كلمة استراتيجية أصلا يا سيدي

إنه ظلمكم يا سيد فريدمان. واحتقاركم لأي آخر غيركم.

الثلاثاء 30-12-2008

487- عن الخزي، والقمر، والذنب، والاحترام (3 من 4)

عودة إلى حالة "سامح"

مقدمة:

أنهت الحلقة الثانية من حالة سامح بما يلي:

أعرف أن المسألة أصبحت مرهقة، وأن التتبع أصبح صعباً، وأنى أغير رأي كثيراً حتى أزعج كل من ينتظر مني كلاماً حاسماً نهائياً، لكن ماذا أفعل، وهذا هو المنهج الذي اخترته، أو الذي فرضته عليّ هذه النشرات، وتلك التسجيلات الموضحة لفروضي السابقة التي كنت أحسبها فروضاً حاملة، ولكن يبدو أنها تثبت أولاً بأول أنها فروضاً عاملة، ولعلها تكون الشواهد الإكلينيكية التي يمكن أن تدعم التنظير الذي يلج في إصداره، الإبن الصديق الأستاذ الدكتور جمال التركي وآخرون. وإلى الأسبوع القادم " تعقيبات وتفسيرات إمرضية Psychopathological (نشرة أو اثنتين)"

ثم حال عطل كابات الإنترنت دون الوفاء بهذا الوعد في حينه، ثم انصلح الحال، ثم هممت أن أوفى بوعدى بعد أن نشرنا بالتفصيل ورقة المشاهدة (الشيت) التي ظهر فيها تاريخ الحالة والأعراض، وذلك في نشرة الثلاثاء 16-12-2008 ثم نشرنا نص المقابلة مع المريض في اليوم التالي 17-12-2008،

وقد بدأت فعلاً وأنا أتصور أننى سوف أزيد الأمر وضوحاً، وبعد مضي بضع ساعات وجدتنى غير راض عما أفعل، حيث شعرت أننى بذلك أخلط بين منهج المباشرة ليستنتج القارئ - بما في ذلك المختصون - ما يراه مناسباً، وبين منهج التفسير والتأويل الذى بدأ لى وصياً على النص الأكثر ثراءً.

ولم أجد الوقت للتراجع الكامل عن كل ما كتبت، وإحلال مادة أخرى محله، فتورطت -مكذا- في عرض هذه العينات لعل لكم رأياً آخر.

تنبيهه لا لزوم له:

غنى عن الذكر الإشارة إلى ضرورة مراجعة ما سبق نشره قبل الماضى في قراءة الحالة أو مناقشة فروض الإمرضية الـ psychopathology، ومع ذلك نوجز الحالة مظطرين برغم علمنا أنه موجز لا يكفى:

موجز الحالة

سامح إبراهيم (ليس اسمه الحقيقي كالعادة) 17 سنة ، طالب متوقف في سنة ثانية دبلوم متوسط، جاء يشكو من ضلالت اضطهاد (فيه ناس عايزين يندون ويخسون)، وهلاوس سمعية (بسمع صوت هيد على العربيات - ثم منذ شهرين بدأ يشكو من أصوات متعددة، تنقر على الأبواب، وتصفر، مع صوت أنثوى فيما بينهم يمكن تمييزه وهو يعقب على تصرفاته ويشبهه أحيانا)، وتوقف عن الدراسة، ورفض العمل كبدل، ثم غرق تحت انسحاب وعزلة، (دائما قاعد لوحده في الأوضة، راقد في السرير ومغطى وشه بالبطنانية، بس صاحي) كما رفض الأكل تقريبا تماما، حتى فقد عدة كيلوجرامات كما كان معظم الوقت يتخذ وضعا ثابتا متصلبا دالا بقى يغطي وشه ويمكن ياخد وضع ويقعد حايطا وشه في الأرض مدة طويلة قوي (أعراض تصلبية = كاتاونيا)

سامح يعيش مع والديه وأخويه اللذين لم يتزوجا بعد، في حين تزوجت أخته ، وهو آخر العنقود، وقد أحضره أبوه للاستشارة على مستوى العيادة الخارجية، وكان قد أخذ علاجات فيزيقية فارماكولوجية مناسبة تحسن بعدها قليلا ثم انتكس بسرعة، ليس في عائلته تاريخ إيجابي للمرض النفسى/العقلى، والده رجل طيب عطوف لا يميز بين أولاده أو بناته، والأم 52 سنة ، اجتماعية سهلة ، علاقتها بسامح أقرب إلى التذليل، علاقتها بأخوته طيبة، عموما،

سامح طول عمره خجول، مالوش اصحاب كثير، يحب يقعد في البيت أكثر الأوقات، بيصلى ويصوم من صغره

..... حكى عن خبرات جنسية صعبة، فهو يقول أن اثنين من زملاء المدرسة، أكبر منه مارسا معه الجنس في ظروف يستحسن أن نعيد حكيها بألفاظه :

... فيه اثنين زمايلي في اعدادى كانوا بيحبروني على كده، كانوا يدوني مواعيد ولازم أروح فيها، وكنت باقول لأهلى انى رايح اذاكر مع صحابى، يكن لو والدى شد على ماكنتش رحت، لو رفضت كانوا بيهددوني، واحد منهم قال إنه مصورنى 36 صورة، وكان بيهددنى انه هايوريهم لأمى، كان كل مرة باحرق صورة لحد لما خلصوا، كانوا يقولوا لى لو ماجتش حا جرسك بالفضيحة، كنت باحس انهم عاملين فى حاجة غلط، كنت خايف اخلف، كنت حاسس إن انا فى بطنى ولد وخايف ينزل، كنت عايش فى رعب، بطلت الحاجات دى لما دخلت الدبلوم

مقتطفات فتعقيبات محدودة من المناقشة مع الزميلة مقدمة الحالة

سوف نقتطف من المقابلة مع الزميلة التي قدمت الحالة ما نرى أنها نصوص تحتاج إلى تعليق قد يدعم الفرض المطروح

(المقتطفات ليست كاملة، وبعضها ليس حرفيا، لتعويض الإيجاز،

ومن يرغب في الرجوع للنص الحرفي، يرجع له كاملا في يومية
الثلاثاء 2008-12-16

النقط عادة مكان كلام محذوف، والأقواس كلام مضاف)

المقتطف:

د. داليا الشافعي

.....

د. داليا: أنا اللي شاغلني إن .. العيان ،
مفركش، (ومع ذلك) العيان قريب جداً، حاشه إن أنا
عايزه أساعده بمجد، كمان مستغربة إن هو اتكسر الكسرة دي
وما فيش تاريخ عائلي،

.....

د. يحيى: هي فين المفركشة اللي في المشاهدة اللي انت
قلتيها، "فركشة يعني disorganization مش كده؟ كل
حتة في ناحية، يعني وظيفة نفسية عقلية مش ماشية مطبوط مع
وظيفة تانية، كلمة مش ماسكة مع الكلمة اللي بعدها، جملة
ناقصة غير مفيدة، كل فكرة مالهش دعوة بغيرها، مش كده والا
إيه؟

التعقيب:

هناك خلط في التفرقة بين "التفسخ"، Disorganization
والتدهور Deterioration ، العملية الفصامية تبدأ
بالانشقاق الذي يسمى "الفصم" Schism تمييزاً له عن الانشقاق
Dissociation الذي يحدث في الهستيريا، مع أن فكرة الانشقاق
(وليس الازدواج) هي أصل حركية العملية الفصامية، وأنا
أسمي هذا التحريك الميدني المباعد في البداية "تعتعة"
Dislodgement ، أي فصل بسيط لمكونات الواحدة Oneness
التي تجعل من الشخص الواحد شخصاً في وقت بذاته في حالة
الصحو. واحداً صححاً، لا أكثر، حين تتفكك هذه الواحدة،
تبدأ التعتعة، التي تتمادى إلى حد ما أسميه الملخ
Dislocation وفيه تنفصل الكيانات المكونة للفرد "الكل
الواحد" عن بعضها، لكن دون أن تحلل الوظائف، وتتواجد
هذه الكيانات معا إما بالشعور بها في نفس وساد وعي
اليقظة، وإما في صورة أعراض اغترابية وكأنها آتية من الخارج
(عادة في صورة ضلالات أو هلاوس). لكن لا مرحلة التعتعة، ولا
حتى مرحلة الملخ، هي كافية لوصف الحالة بالتفسخ (الذي عادة
توصف به العملية الفصامية في ذروتها ويعبر عنه بالعامية
بلفظ: المفركشة). يحدث التفسخ حين تتزاحم هذه الكيانات،
وتتنافس حتى التصادم، ومن ثم التناثر ليس فقط بعيداً عن
بعضها البعض، ولكن تتناثر مكونات كل كيان ، والأكثر أن
تختلط أداء أجزاء من بعض هذه الكيانات بأجزاء أخرى،
فيكون الجماع الظاهر على سطح الوعي هو خليط "هذر مذر" من
السلوك والكلام والمشاعر.

التدهور Deterioration هو إشارة إلى الآثار السلبية للتفسخ، هو نقص في كل شيء مع خلل في معظم مجالات السلوك بل الحياة برمتها، هو بمثابة الرماد المتخلف من حريق، أو من وقود لم يستفاد منه لإنضاج أي شيء، أو دفع أي حركة، هو أقرب إلى ما يسمى حديثاً الأعراض السلبية للفصام،

الذى يمنع التفسخ ليس بالضرورة السلامة، وإنما أيضا أشكال أخرى من المرض، مثل الوسواس القهرية، والضلالات المنتظمة المتماسكة، بل والأعراض الكاتاتونية (التصلبية)، الضلالات وأحيانا الهلاوس قد تمنع التدهور لمدة طويلة، وأحيانا طول العمر (مثل حالة عم عبد الغفار)، أما الأعراض التصلبية والانسحابية في مثل هذه الحالة فهي تمنع التفسخ بالجمود الذى يشبه البيات الشتوى أو تجمد وتلون بعض الزواحف بلا حراك بجوار الصخور لمنع وخداع الحيوان المهاجم من التهام الفريسة إذا تحركت.

عدم التفسخ (الفركشة) في هذه الحالة هو راجع جزئيا للضلالات، وبدرجة أكبر للانسحاب والتخشب.

المقتطف:

د. يحيى: اللي شاغلنى فى العيان ده إن أبوه راجل طيب، وبيحبه، وهو آخر العنقود وبتاع، وامه ست اجتماعية وما قصرتشى في أى حاجة، وما فيش تاريخ إيجابى للأمراض بتاعتنا في العيلة دى على قد ما قالوا، يبقى إيه الحكاية؟ وازاى حالته توصل للدرجة دى؟ مش لدرجة الفركشة اللي انا مش شايفها، لأ، أنا باقصد الجمود والتصلب والانسحاب الكامل ده، ودى حاجات ألعن، واللا إيه رأيك يا داليا؟

د.داليا: أنا مفسراها بالحكاية بتاعة العيال دول، والتهديد، والتخبية، والحاجات دى

التعقيب :

حين نفتقد التاريخ الأسرى الإيجابي للأمراض النفسية/العقلية في الأسرة، نجد أن علينا أن نبحث بدقة أكثر عن سبب مناسب في التاريخ الشخصى يبرر الذهان بوجه خاص، وليس من الضروري أن نجده في كل حالة، لكن الأمر يحتاج أن نتعمق فيما يبدو أسبابا عابرة، لعلها لا تكون عابرة، وقد يحتاج الأمر إلى أن نأخذ ما يبدو أنه السبب الأوحد بشكل حذر على أنه ليس الأوحد، فلو أننا أخذنا في حالة سامح مسألة الاعتداء الجنسى في الطفولة، ثم الممارسة المثلية مع التهديد والقهر كما وصل للزميلة، واكتفينا بأن هذين السببين هما كافيين للشعور بالذنب، ومن ثم بالخزى، ومن ثم بالانسحاب، فالذهان هكذا، إذن لافتقدنا السبب الحقيقى المحتمل الذى صغناه في الفرض الذى قدمناه أثناء المناقشة، والذى سوف نعود إليه ثانية.

النقطة الثانية التي سوف نعود إليها في حالات أخرى كثيرة، هي أن الصفات التي يوصف بها الوالدين باعتبارها صفات إيجابية تماماً، مثل الطيبة، والقرب، والحنان، والرعاية، والاستجابة للطلبات، وتجنب القسوة العمياء، هذه الصفات التي تروج لها الدراما السطحية، وتعزو المرض النفسي إلى عكسها، تلك الصفات لا ينبغي أن تؤخذ على أنها صفات إيجابية على طول الخط، بل إننا قد نجد وراء الطيبة نوعاً من التخلي، ووراء الاستجابة للطلبات والحنان، نوعاً من عدم القدرة على المنع أو الكف، ووراء القرب نوعاً من الامتلاك يصاحبه أو لا يصاحبه الخوف من الفقد، ووراء عدم الزجر والعقاب نوعاً من عدم تحمل الألم الذي يصيب الأب (أو الأم نتيجة لذلك)، نلاحظ هنا -مثلاً- قول سامح "يمكن لو والدي شد على ما كنتش رحت"

المقتطف:

د. داليا: ".....(فيه) حاجة خلتنى أشك في موضوع الصور أصلاً، أصله قال لي إن الولد الثاني قال له أنا كنت تحت السرير وصورتك، وبعدين يقول له أنا مصور لك مش عارفه إيه، حسيت إن حتى الطريقة اللي بيهددوه بيها نصب في نصب، وهو يعني بيصدق حاجات مش ممكن تكون حاصلة، الظاهر هما كانوا بيستغلوه بطرق ملتوية،....."

د. مجيى: كتر خرك،.. شوفي يا بنتي الخيرة دي والعيال في السن ده في المجتمع ده، الحاجات دي واردة، لكن بشكل لعب، ولمدة محدودة، وهات وخذ، وكلام من ده، إنما اللي خلاني أنزعج هوا طول المدة، ورضاه في البداية، ودوره السلبي على طول الخط، أنا عدت حكاية التهديد والصور والكلام ده، حسيت إنها مش هي كل حاجة، كل ده خلى الفار يلعب في عبي.....

.....

د. مجيى: طب لما شكيتي فيها..، تصورتى إن هي ممكن تكون مدة قد آيه

د. داليا: لأ ممكن تكون أكثر من كده، أكثر من مرحلة إعدادى

د. مجيى: (هى قعدت الحكاية دي) ... قد إيه تقريبا؟

د. داليا: ممكن يكون قعدت أربع سنين مثلاً أو أكثر كمان

.....

.....

د. داليا: أنا وصلني في الأول إنه كان رافض يعنى، وبعدين زى ما يكون اتعود أو حاجة كده،

د. مجيى: كان فيه فعل كامل، ولا لأ

د. داليا: آه

د. يحيى: الشعور ده له علاقة بالسؤال البايع اللي (أنا سألته) قبل كده، إن هو كان عايز كده ولا لأه، هي الست بتبقى عايزة إيه من العلاقة الطبيعية، الست في الغالب بتبقى عايزة حاجتين، عايزة العلاقة، وعايزة الأمومة، ويمكن الراجل كمان يكون عايز كده.

.....

.....الشعور باخمل اللي قاله الولد الغلبان ده مش تخريف كله، ده شعور طبيعي، أنثوى في المقام الأول، ممكن الخبرة السخيفة دى اللي ابدت بدرى كده، ممكن تكون حركت فيه - طبعاً ده مجرد الفرض اللي نط لى - ، تصورت إن ممكن تكون الخبرة دى حركت جانب داخلى في تركيبه الأساسى، ولما قال لك أنا كنت حاسس إن فى بطى عيل ماكانش مجرد بيتخيل، لا دا يمكن كان يمكن بيعتير عن استقباله الداخلى للجانب اللي اتحرك ده، ويمكن حتى ترحيبه به، مرة ثانية ده مجرد فرض يمكن يساعدنا،

التعقيب :

هذه الجزئية من الفرض هي أصعب أجزائه وهي تحتاج لمزيد من الإيضاح:

أولاً: هي ليست تصويراً لتخيلات المريض وإنما هي متعلقة بافتراضات أساسية عندي، تتجاوز افتراضات يونج عن "الأنثى" و"الأنثى" Animus ، لأنها تصل عندي إلى درجة تصور أن ثنائية التركيب الجنسانى (ذكر - أنثى) هي واقع بيولوجى تاريخى، وليس مجرد احتمال سيكولوجى تخيلى، وأن رحلة النضج لا تتم فى الاتجاه السليم إلا بعد مراحل طويلة ، وأزمات نمو متعاقبة، هذه الأزمات الطبيعية لا تعلن بالضرورة فى لغة جنسية، لكن كل أزمة ترجع التوجه ناحية أحد قطبي هذه الثنائية لمرحلة ما، ولا تكون الأزمة ناجحة بقدر ما تستبعد الضد، وإنما بقدر ما تحتوى جزءاً منه نحو التكامل، بمعنى أن الولد لا يكون نامياً نمواً صحيحاً إذا كان يزداد ذكورة باستمرار على حساب أنوثته الكامنة الفاعلة، كذلك الأنثى، وبدون التركيز على المظهر السلوكى وحده، وبدون تحديد أننا نتكلم عن الجنس بالذات ، يمكن أن نتصور أن هذا هو قانون النمو الجدلى بصفة عامة.

من هنا تأتى أهمية الخبرات الأولى فى تشكيل مسار الأشباع الجنسى وما يرتبط به وهذا يختلف حسب نوع وفرص التنشئة، وتصبح هذه الخبرات الأولى وما يليها مسنولة إما عن تدعيم الاستقطاب إلى أقصاه، فينمو الولد أكثر ذكورة، وليس بالضرورة أكثر رجولة، والأهم ليس أكثر إنسانية، وتنمو البنت أكثر "نسانية"، وليست بالضرورة أكثر أنوثة، والأهم ليست أكثر إنسانية،

وإما أن تقوم هذه الخبرات الأولى (والخبرة هنا ليست مرادفة للتنشئة) بإعاقه هذا الاستقطاب، ليس لحساب جدل النمو،

وإنما لحساب تعتيم الأدوار وميوعة الحدود بين قطبي الذكورة والأنوثة، وهنا: إما أن يتأخر تحديد الهوية الجنسية Gender، وإما أن تختلط الأدوار أو تتعدد معاً، أو تتبادل أحياناً، أنا لا أتكلم هنا عن الجنسية المثلية بوجه خاص، فاهوية الجنسية ليس لها علاقة مباشرة بالممارسة الجنسية الغربية أو المثلية، أنا لا أنفي أن ثمة علاقة، ولكنني أنبه أنه لا توجد علاقة مباشرة.

.....

نتوقف عن التعقيب والتنظير قليلاً في هذه المرحلة ونستمع إلى ما قلته للزميلة مقدمة الحالة.

المقتطف:

د. يحيى: (أنا متصور إن) الخبرة ابنتت حب استطلاع، واستمرت بدرجات متفاوتة من القهر والرضاء، فحرّكت اللي حركته في الواد الغلبان ده، فيبقى هو مضطر لتنشيط قهر داخلي من نوع آخر (دون أن بدرى طبعاً) عشان بسكت اللي اتحرك جواه ده، يعني يكتّم على الختة اللي استثيرت بالشكل ده، ومش بس استثيرت عشان تحقق لذة مؤقتة مشكوك فيها، لا، دا يمكن أثارت معاه الجزء الأنثوي المتعلق بحتة الأمومة اللي فيه،

طبعاً كل ده محاولة فهم لا أكثر، بجى يا عيني الولد ده يبقى عليه إنه يقاوم القهر الخارجي، وبرضه القهر الداخلي إالى بيظبط بيه الختة دي اللي اتحركت فيه غصين عنه، وهو ناشئ دلوعة، وآخر العنقود، ولا خد الدراسة جد، ولا استمر في شغلة أكثر من شهر،

التعقيب :

الفرض هنا يريد أن يقول إن الاعتداء الجنسي في ذاته، والتهديد، والقهر، ليس وحدهم السبب في الانهيار النفسي حتى الذهان (الكاتونق الانسحابي الفصامي، بأقل قدر من التفسخ)، إنما نفترض أن الجانب الذي تحرك بداخل سامح ليتلقى منه كلا من اللذة بل و"الاعتراف"، هو الجانب الأنثوي، الأموى معاً، وقد كان مفتاح هذا الفرض هو ذلك الشعور بأن في داخله طفل يوشك أن يخرج من بطنه أثناء التبرز، ونحن نفترض أن هذا ليس فقط من صنع الخيال بمعنى اشتغال التفكير بصناعة هذا التصور تخيلاً، وإنما نحن نراه ترجمة لتحريك بيولوجي بدأ منذ الطفولة، فحقق له لذة غير مقصودة، واعترافاً ضمناً فكان يقبل مقهوراً ثم يلتذ - بيولوجياً- مضطراً، ولا يمكن فصل هذا عن ذلك بسهولة، كما لا يمكن تصور أنه قبله كان قهراً على طول الخط، على الأقل بعد خبرته المتكررة للحصول على لذة ما، ليس له ذنب في الحصول عليها. سامح في كل ما حصلنا عليه من معلومات لم يتكلم عن شعور بالذنب، لأنه لم يرتكب ذنباً، أما المقاومة التي كانت تنمو داخله في نفس الوقت فلا يمكن قياسها وهي مختفية وراء قوة القهر الممارس عليه، كما لا يمكن تتبع مسارها من أول رضوخه للذهاب، حتى توقعه عن

الممارسة، لا أريد أن أتمادى في افتراض رضاه أو رغبته في استمرار الممارسة لسنوات حتى لا يبدو ذلك وكأنه اتهام ضمني، لكن هذا الافتراض يفسر ما يلي:

1. أنه ، كما جاء في المقابلة والشرح للزميلة، كان يقاوم قهرا خارجيا (التهديد بالصور)، وقهرا داخليا، توجهه الداخلى نحو الالتذاذ فالاعتراف ضمنا بالإقرار له بوجود ما مرغوب فيه، ولو هكذا، (حتى ولو بعد بداية مرغمة).

2. أن كلا من الخوف واللذة ، قد ترتب عليهم هذا التحريك البيولوجى الداخلى الذى ترجمه إلى هذا المعتقد الضلالى: أنه حامل ويوشك أن يضع طفلا.

3. أن هذا الشعور (فالمعتقد) قد يشير إلى قوة الأثر الذى تركته هذه الممارسة المتكررة في هذا السن، ذلك الأثر الذى تعمق حتى استثار تركيبا بيولوجيا تاريخيا غائرا.

4. إن الأب والأم لم يحضرا في الواقع الخارجى أثناء تنشئة سامح بالقدر الكافي (لا بالمراقبة ، ولا بالمنع ، ولا بالاقتراب، ولا بالاعتراف الحقيقى)، وفى هذا ما فيه من عدم الرؤية أصلا، ليس فقط رؤية ومتابعة مواعيده وخروجه ودخوله، ولكن رؤيته هو كيانا ناميا يحتاج أن يُرى.

5. إن هذه الممارسة بكل ما فيها من قهر، وإرغام، حقت له لذة ما، وأيضا اعترافا ما، رؤية ما، حتى لو كانت هذه الرؤية قد حدثت في أشجع الظروف، وبأخبث الوسائل، إلا أنها كانت - ولدة سنوات- هى التى تقوم بالتوقيع على أنه موجود، فهو لم يكمل دراسته، ولم يعمل، ولم يكن له دور حياتى أصلا ، فكان هذا الدور بهذا الشكل الصعب هو بمثابة الاعتراف الملوث بوجوده (فليس الأمر مجرد لذة).

6. إنه برغم كل ذلك تنامى لديه قرار الرفض تجاه القهر الخارجى (الوعيد والتهديد بالفضيحة) والقهر الداخلى (الحاجة إلى الاعتراف، والرضا بلذة ما)، وحين وصل الرفض إلى درجة تكفى لتفعيل هذا الداخل في سلوك مرضى، ظهرت الحالة بهذه الصورة.

7. إن تحشبه ناظرا إلى الأرض بالذات ، ومتجنبيا التقاء العينين، كان كما لو أنه يعلن به أن ما كان يجنبه، وينكره أيضا، قد اقترب من السطح حتى كاد "يرى"، فهو الخزى والانسحاب من الناس، بل وربما هو يحمل أيضا نوعا من طلب النجدة بأن يساهم "الخارج" (واقع الناس) في منعه، مادام هو قد عجز عن ذلك.

8. إن المرض بهذه الصورة قد حقق له أهدافا لم يستطع أن يحققها وهو سليم.

(1) فهو قد أوقف الممارسة.

(2) وهو قد أخق به العقاب (بالاكتئاب والخزى) الذى يتصور أنه يستحقه في مواجهة الجزء الذى رضى بذلك أو رغب في ذلك.

(3) وهو قد لوح بمزيد من الهرب من الواقع إنهاء للموقف كله بإنهاء الحياة بالامتناع شبه الكامل عن الأكل.

(4) وهو قد جمد حركته حتى التخشب (بالإضافة إلى التجمد انخفاء وخزيا) فكأن العجز عن الحركة يضمن له - بشكل ما - استحالة ذهابه ، مضطرا موافقا إذا ما استدعوه .

(5) وهو قد أشرك الخارج (بالأصوات والمعتقدات) في الإسهام في منعه .
لكن المرض كان له في نفس الوقت ثمن باهظ

(1) فهو قد هدد حياته (بامتناعه عن الأكل) .

(2) كما لوح بفضيحتة (وربما كان اعترافه للطبيبة برغم أهميته وطيبتها، يميل في طبياته ما يشبه الإعلان أو الكشف الذى قد يصل في ظروف غير مناسبة إلى الفضيحة، يلاحظ ذلك ربما في قبوله السهل للتصوير في أول المقابلة والحديث حتى في هذه المسألة أثناء المقابلة دون حرج، كما قد نستنتج ذلك أيضا في ترجمة بعض أعراضه مثل ضلالت المراقبة، وهلوسات الإيذاء .

(3) ثم أن المرض قد نفاه في عالمه الداخلى بكل تشوهاتة وحرمانه ، فتوقفت دراسته التى لم تبدأ أصلا (تقريبا) وتمادى في بطالته، بل توقفت حياته .

وبعد

ماذا يمكن أن يثريه هذا الصبي -هكذا- في نفسك (خاصة لو كنت طبيبا أو معالجا)

- أن تشفق عليه وعلى ما آل إليه شفقة حقيقية بلا حدود؟
- أن تحبه بمعنى أن تقرب منه وتقدر ظروفه وتطبطب عليه
- أن توصى به أهله أكثر ليزيدوه رعاية وعظفا لأنه يحتاج ذلك
- أن تسارع بوضع لافتة تشخيصية لأن العرض الفلان مع العرض العلافى يبران ذلك؟

· أن يستتبع ذلك أن تعطيه ما يحتاجه من مهدئات عظيمة (نيوروليتا) لتهدئة داخله الذى تحرك في الاتجاه الخاطئ، ثم قفز فجأة مريضا بعيدا عن الواقع، فتهمهده حتى تزول الأعراض، ويزول معها ما يزول؟

· أن تحاول البحث عن بداية جديدة تمنحه الاعتراف وأنت تكابد محاولة صادقة لاحتزامه بما هو، بما في ذلك ما آل إليه في هذه المرحلة بالحل المرضى بعد المسار المنحرف؟

· وهل تتطلب هذه المحاولة الأخيرة ما أسيناه - في المقابلة على الأقل - "الاحترام" الصعب.

وكيف يكون ذلك؟

هذا ما سوف نحاول مناقشته في الحلقة الأخيرة، في نشرة الغد.

الإربعاء 31-12-2008

488- عن الخزي، والقهر، والذنب، والاحترام (4 من 4)

حالة "سامح": تعقيب على المقابلة

مقدمة:

أهينا نشرة أمس بتساؤل يقول :

ماذا يمكن أن تثيره حالة هذا الصبي -هكذا- في نفسك (خاصة لو كنت طبيبا أو معالجا) ؟

• أن تشفق عليه وعلى ما آل إليه شفقة حقيقية بلا حدود؟

• أن تحبه لأنك تقدر ظروفه وتشعر بمأزقه جدا جدا ؟

• أن توصى به أهله أكثر ليزيدوه رعاية وعظما لأنه يحتاج ذلك؟

• أن تسارع بوضع لافتة تشخيصية لأن العرض الفلاني مع العرض العلفي يبران ذلك؟

• أن يستتبع ذلك أن تعطيه ما يحتاجه من مهدئات عظيمة (نيورولبتات) لتهدئة داخله (قديمه- بديله) الذي تحرك في الاتجاه الخاطئ، ثم قفز فجأة يفرض نفسه فيحمله مريضا بعيدا عن الواقع، تعطيه ما تيسر من ذلك لتهمده حتى تزول الأعراض، ويزول معها ما يزول؟

• أن تحاول البحث عن بداية جديدة تمنحه "الاعتراف" وأنت تكابد محاولة صادقة لقبوله "بما هو"، بما في ذلك ما آل إليه في هذه المرحلة باللجوء إلى الخلل المرضي بعد المسار المنحرف ؟

(ربما تكون هذه المحاولة الأخيرة - كبدية- هي ما أسميناه الاحترام)

أما كيف يكون ذلك ؟ فهذا ما سوف نحاول بيان بعض جوانبه من خلال التعليق على بعض مقتطفات المقابلة مع المريض التي نشرت بكاملها يوم الأربعاء الماضي

مقتطفات من المقابلة مع سامح

(دخل سامح نحيفا باهتا مهملا ملابسه قليلا، حان الظهر وينظر للأرض بشكل ثابت واضح)

د.يحيى : سامح

سامح : نعم

د.يحيى : أقعد يا حبيبي على الكرسي، صباح الخير

سامح : صباح النور

(يصافح الدكتور يحيى بعد أن يهم الأخير من على الكرسي لتسهيل المصافحة عبر المكتب، خاصة وأن سامح ظل مطأطئا رأسه)

د.يحيى : إزيك يا سامح

سامح : أنا كويس الحمد لله

.....

د.يحيى : كتر خيرك، الدكتورة داليا بنت طيبة

سامح : آه ، قوى قوى، بنت حلال

د.يحيى : الحمد لله رب العالمين، ربنا يبارك لها، إنت عارف إنها متجوزة وهى صغنطوة كده؟ عارف إنها متجوزة ولا ما قالتش لك؟

سامح : لأ

د.يحيى : (للدكتورة داليا)، إنت محببة عليه ليه؟ ورى له الدبلة باشيخة، طلعي إيدك على المكتب إنت مكسوفة؟ هو الجواز عيب؟

د.داليا : وإيه المشكلة؟ ما انا قاعده معاه بقال كام يوم

سامح : أنا شفت الدبلة حضرتك

د.يحيى : طيب امال بتقول لسه ما اتجوزتشي ليه ؟

سامح : ما خدتش بالى وانا بارؤ

د.يحيى : يبقى متجوزة ولا مش متجوزة ؟ لأ وإيه !! دبلة إيه !! دبلة فيها ألماظ

سامح : الحمد لله

.....

التعقيب:

تركنا هذا المقتطف مطولا هكذا، برغم وروده مفصلا في نشرة الأربعاء 17-12-2008، لنعرض أن الاحترام الذى سنحاول أن نتكشف أبعاده، والذي بدا من خلال التساؤلات أنه الطريق إلى

بداية ما، لا يتأتى بإعلان الاحترام بالألفاظ ابتداءً، بقدر ما يمكن أن تحقق بعضه بمثل هذه البدايات التي ترفع الكلفة، وتعامل المريض بالمثل، وتتكلم في خصوصيات مهمة، في حدود المتاح .

أثناء المقابلة في الأسبوع الماضي، حاول الأستاذ أن يفهم الزميلة مقدمة الحالة ألا تكتفى لتقييم مستوى تعليم مريض أو حتى هو أميته علي فصله الدراسي، أو حتى على حصوله على شهادة عامة، نظرا لما آل إليه حال التعليم في مصر، واختبار ذلك عند سامح، قام الأستاذ بطلب أن يكتب سامح شيئا ما، وكان المقصود هو التحقق مما حصله حتى الإعدادية بعد الشك السالف الذكر، لكن هذا الطلب تفتق عن ظاهرة لها دلالات إكلينيكية نعقب عليها بعد عرض مقتطف منها على الوجه التالي :

المقتطف:

(مع الاعتذار للتكرار لأنه لا يمكن التعقيب عليه إذا كتب بأكمله)

د.يجيى : ياللا يا سامح ورينا كده إكتب أى حاجة
(يعطيه ورقة وقلما)

سامح : بس خطى...

د.يجيى : إستنى بس، خطك إيه وبتاع إيه، هوا احنا
بنحسّن الخط؟ ياراجل اكتب هنا

سامح : ماشى أكتب إيه يادكتور

د.يجيى : أى حاجة

سامح : أكتب قرآن؟

د.يجيى : زى ما انت عايز، (يكتب سامح فينظر الدكتور
فيما كتب ...) باسم الله ، ما شاء الله، والله خطك أحسن من
خط الدكتورة داليا، طب اكتب اسمها بالكامل

سامح : ما اعرفوش

د.يجيى : إسألها يا أخى

سامح: طيب يادكتورة داليا حضرتك إسكّ الدكتورة داليا إيه

د.داليا الشافعى: داليا الشافعى

د.يجيى : داليا إيه؟

سامح: داليا الشافعى

ينتقل طلب الكتابة بأن يطلب من سامح أن يتجاوز مجرد
كتابة أسماء، بل جملة مفيدة (يكن الرجوع إلى التفاصيل في
نشرة يوم الأربعاء الماضي)

سامح: ابوه خلصت

د.يحيى : أحسن حاجه والله، بلا وجع دماغ، خرج ثم عاد إلى البيت، باقول لك انا كنت متوقع كده بصراحة، ياللا سوا نكمل القصه بس نخلى سامح يخرج ومايعودش إلى البيت، ونشوف حايروح فين

سامح: مين

د.يحيى : سامح

سامح: (بالكلام وليس بالكتابة) خرج ثم عاد إلى البيت

د.يحيى : ما خلاص ماهو عاد مرتين، هو حايفضل يعود يعود ؟ مش كفاية مرتين؟ شوف خرج وما ترجعهوش البيت، وكمل الحكاية من غير "عاد إلى البيت"

سامح: بعد كده حايروح فين؟

د.يحيى : أنا مالى، هو خرج وبس، وانا مانعهُ إنه يرجع البيت، إنت تكمل بقى وشوف حايروح فى أنهى حته، ياللا اماله ورينا

سامح: بس، ثم خرج تانى

د.يحيى : ماهو خرج وماعدش إلى البيت، حا يخرج تانى من الخروج،
الله
!!!

.....

(ينظر د. يحيى فى الورقة، ويقرأ صامتاً) ياخبر !!! إنت بتتهيب إيه تانى؟ إنت بتكتب إيه؟ إنت رجعتاه البيت تانى؟ إنت عارف إنت كتبت إيه؟ كتبت سامح خرج ثم عاد إلى البيت ثم عاد إلى البيت من غير مايجر، الله يجيبك، مش احنا إتفقتنا إنه عاد إلى البيت، ومن ساعتها بنخرج فيه مش قادرين، رحنت انت كاتبها ثم عاد إلى البيت، ثم عاد إلى البيت، مش ده اللي انت بتعمله بالضبط بعياك ؟

التعقيب :

بالرغم من أن هذا المقطع كان لمعرفة مستواه الدراسى ، وهل هو جيد الكتابة والقراءة، إلا أنه يبدو أن هذه التجربة يمكن أن تكون قد أظهرت ظاهرة مهمة، فى هذه الحالة وعموماً، فجاناب ما يمكن أن نستنتجها من احتمال ما يسمى "فقراًلأفكار"، ولو أن هذا ليس مؤكداً لصعوبة الموقف ، فإنها أظهرت درجة ما من "النكوص"، وأيضاً هذ احتمال ليس هو الأهم،

تصورت شخصياً أن هذا التصرف كتابة يمكن أن يكون رمزاً لما نسميه "برنامج الدخول والخروج" In and out program وهو برنامج نمائى مهم، سبق أن أشرنا إليه فى يوميات سابقة، (وقد يكون هنا مكرراً لكننا نراه مناسباً) فالنمو لا

سامح: حاضر يادكتور

د.يحيى : الله يحضرك الخير، يعنى إيه بقى اللى انا باقوله ده، يعنى إيه تحترم بعض

سامح: يعنى أنا أحترم حضرتك علشان حضرتك أكبر منى

د.يحيى : طيب وهو أنا حاحترمك ازاي مع إنك أصغر منى؟ ينفع؟

سامح: لأه

د.يحيى : أنا برضه كنت متوقع إنك حاتربط الإحترام بالسن ويمكن بالمركز

سامح: آه بالمركز

د.يحيى : وانت صغير وما عندكش مركز ، يبقى ما احترمكشى بقى ولا إيه ؟

سامح: آه

د.يحيى : آه ازاي؟ ازاي ما احترمكشى، وليه ؟

سامح: لأه ، طبعاً ما تحترمني

د.يحيى : يعنى أستنىى كام عشر سنين كده لما تبقى تكبر ويبقى عندك مركز علشان احترمك

سامح: ماهو أنا حاخذ الدبلومة

د.يحيى : من غير ما تاخذ الدبلومة ، ماتبقاش محترم؟

سامح: آه من غير ما آخذ الدبلومة ماتبقاش محترم

د.يحيى : ما ينفعشى، دا مجرد إن ربنا خلقك تبقى محترم ؟

التعقيب:

أتعامل مع الاحترام هنا (وعموماً) ليس باعتباره سمة أخلاقية، وإنما باعتباره (وجدانا أساسياً)، تتمحور حوله ما نسميه "العلاقة بالآخر"، وأحياناً "الحب" بالمعنى الناضج المستول، وقد وجدت صعوبة شديدة في أن أربط ما يسمى الحب، بما أقصده بالاحترام، إذ أننى بمجرد أن أذكر كلمة "احترام" يقفز إلى وعى المتلقى (كما حدث ويحدث مع سامح) مفهوم أخلاقى فوقى عادة . الاحترام الذى أعنيه هنا، والذى أتصور أنه ذخيرة علاجية خصوصاً في حالة مثل حالة سامح ، يشمل القبول الكلى، والمعاملة بالمثل، (العدل)، والوعى باللحظة، والقدرة على التزك، وحضور هذا "الآخر" في وعيك بشكل ما ، "مخزماً" له كل هذه الحقوق، حالة كونه غائباً عن ناظريك هنا والآن، كل هذا يحدث بشكل تلقائى معاً، بحيث لا يمكن تحليله إلى مفرداته كما فعلت أنا هنا حالاً مضطراً (على ما يبدو)، من هنا تجلو الاحترام من الفوقية، والفرجة، والاستعمال، والشفقة، والتضحية، وربما من بعض أنواع الحب الساخن.

أنا آسف ، لكنه استطرد عفوى، يبدو شديد الصعوبة، مع أننى تصورت أنه قد يكون قد وصل لسامح بشكل ما ، دعونا نرى :

المقتطف:

سامح: ما هو أنا لو اسيب الدبلوم واشتغل، ... بس الجيش حايطبّ عليا

(يضع يده على رأسه قرب عينيه وهو مطأطن، وكأنه يخفى بها عينيه)

د.يجيى : ..هوه انت حاتخط لى إيدك على راسك ليه؟ هوه فيه شمس؟ كنا بنقول: هوه ماينفعلش أحترمك من غير دبلومه؟

سامح: مافيه ناس بتشتغل وبتبقى فى الشارع...

د.يجيى : رد علىّ الأول، هوه ما ينفعلش أحترمك علشان ربنا خلقك زى ما خلقنى؟

سامح: لأه ينفع

د.يجيى : طيب نبتدى كده وبعدين تُفرج، ربنا خلقك وخلقنى، وانت ليك حق ما دام اتخلقنا، وانا لى حق زيك، نبتدى كده، وبعدين نشوف

سامح: إنت حضرتك ليك حق تاخذه منى، إنما أنا ماليش حق عند حد أكبر منى

د.يجيى : إزاي ده بقى؟! دا الصغير هو اللى ليه حق عند الكبير إن الكبير ياخذ باله منه، إزاي مالكش حق يابنى؟

التعقيب:

نحن نتكلم كثيرا عن حقوق الإنسان، ونركز على المواثيق المكتوبة، ثم حين نتكلم عن حقوق الطفل نركز أيضا على التعليم والصحة والحماية وما إلى ذلك. اكتشفت بعد هذه المناقشة عند سامح، وهو يؤكد وهو فى عز مرضه أنه "أنا ما ليش حق عند حد أكبر منى" تصورت أن هذه هى القاعدة عند كثير من أطفالنا، إن الشعور بأن لك حق، لا ينبغي أن يبلغه أنك لا تحصل عليه، طفلا أو ناضجا، إن حرمانك من تفعيل واقعى لما يتطلبه حقك إنما يؤكد حقك هذا، لا ينبغي، أعتقد أن هذه طبيعة بشرية، تبدأ مع الطفولة، ولكنها لا تصل إلى الوعى بسهولة، إنها نقطة بداية أن تكون بشرا، فلم يقطع الكائن الإنسانى هذا التاريخ الطويل هباء، وإنما ليكون إنسانا كما أراد له الحق تبارك وتعالى ، وربما هذا الموقف هو ما يكمن وراء تأكيدي لسامح طول الوقت أن حق الاحترام هو قائم بخرد أننا ، هو وأنا، خلقة ربنا.

لعلك لا حظت كيف ربطت بين تلك الخبرة البشعة وبين "الاعتراف"، حتى هذه الخبرات تحمل وظيفة اعتراف مشبوه مع أو بدون وظيفة اللذة، لست متأكدا، لكن ربما هذا ما جعل كلمة

"الاعتراف" تقفز لي وأنا أفسر طول مدة الممارسة واحتمال اشتراكه في الموافقة الخفية، حين تقمصت الأطفال وأنا أكتب لهم أراجيز الفطرة ، أكدت على حقوقهم على لسانهم في أرجوزة الحقوق الحقيقية، وقد سبق نشرها في الدستور يوم_3-10-2007 ، فأقتطف منها ما هو مناسب لحالة سامح:

حقي انا بحق وحقيق: إنني خلقت ربنا
يبقى مش من حقي أفزط في اللي خلاي: أنا

بس ده مش حقي وحدي

ما هو عندك زي عندي

أنا حقي ، وانت برضه ، مثلي خالص
إنني اكون وياك وفاهم،

... وانت باصص

حقي إنني أعيش كما شاء ربنا
يعني بني آدم ضعيف،

لكن قوي بينا كلنا

أنا حقي أكون ياخويا محترم
ماتسجنشي جوا شكلي واترسم

حقي كل ما اخلص اني أبتدي

حقي إنني لما أغلط أهتدي

أنا حقي آخذ الفرصة واعبر

أنا حقي أعيد نظراً، وارجع أفكر

"فهمني أسباب ما حصل"، يمكن يفيد،

... بس يفضل حقي أبدأ من جديد

حقى إني أكون بنى آدم وبس
حقى إني زى ما بافكر، أحس

حقى إن يكون صحيح "أنا ليّا حق"
مش هبه من حد أو حتة ورق
المقتطف:

نرجع إلى سامح، فنعيد آخر جملتين ثم نكمل
سامح: إنت حضرتك ليك حق تاخذه منى، إنما أنا ماليش حق
عند حد أكبر منى

د.يحيى : إزاي ده بقى؟! دا الصغير هو اللى ليه
حق عند الكبير إن الكبير ياخد باله منه، إزاي مالکش حق
يابنى؟

سامح: ما هو كده بقى وخلص

د.يحيى : كده وخلص إزاي؟ الناس تكبر إزاي وتزى إزاي؟

سامح: طيب بعد إذنك يادكتور علشان حاروح أكمل فطار

د.يحيى : ما تجيب الفطار هنا

سامح: لأه

د.يحيى : لأه ليه

سامح: علشان أنا قاعد محروج

د.يحيى : قاعد محروج!! آه ، قول كده بقى، أول ما
بيزيد الحرج، هُتْ: تقول عاوز أفطر، يادُ أنا فاقسك،
إنت عاوز تقعد معايا، بس محروج، مش كده؟

سامح: أيوه أنا عاوز أقعد مع حضرتك

د.يحيى : ما أنا عارف، فا بتقول عاوز افطر وتتحجج
بأى حجة كده

سامح: صح

د.يحيى : صح؟ والله لو قاصدها تبقى جميل

سامح: ده سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

د.يحيى : عليه الصلاة والسلام ، سيدنا محمد ماله؟

سامح: لأه ده هو اللى فيه الصفات ديه

د. يجيى : صفات إيه اللى قلناها ديه فى سيدنا محمد،
عليه الصلاة والسلام

سامح: هو اللى جميل شوية

د. يجيى : ... هو جميل شوية؟ دا جميل كتير، بس انت
جميل برضه

سامح: لأه لأه، مش حابى أحسن من حضرتك

د. يجيى : وهو أنا جميل

سامح: آه

التعقيب:

نلاحظ هنا بدايات متنوعة للعلاقة العلاجية ، وبمجرد أن
بدأت شعر بمخطر الاقتراب، وطلب الذهاب ليتناول إفطاره، لكن
استمرار الحوار كشف كيف تواكب هذا الاستئذان للمغادرة ،
مع رغبته أن تستمر المقابلة

تعبير "الجمال" هنا له وضع خاص، فغالبا هو لا يشير إلى
الشكل، وإنما يشير إلى هارمونية الكل، ونوع الحضور، نعيد
آخر سطرين ثم نكمل

المقتطف:

سامح: لأه لأه مش حابى أحسن من حضرتك

د. يجيى : وهو أنا جميل ؟

سامح: آه

د. يجيى : طيب متشكرين يارب مجليك ، (ينظر سامح فى
الأرض ، وينحن أكثر) لأه ماتغطشنى تانى الله مجليك، إحنا
مصدقنا بصينا لبعضينا، أعزم عليك عزيمة بس صعبة

سامح: علىّ انا؟!!

د. يجيى : حازم عليك إنك تخف

سامح: علىّ انا؟!!

التعقيب:

نلاحظ أن تكراره التساؤل التعجبي "علىّ انا" يؤكد مدى
رؤيته لعدمية وجوده، وكأنه ليس من حقه أن يشارك فى أخذ
رأيه حتى فيما يخص أهم ما هو حاضر من أجله

المقتطف:

د. يجيى : حازم عليك إنك تخف

سامح: ماشى

التعقيب :

سرعة الموافقة هنا مشبوهة، لكن لا يمكن أن ترفض مجرد المشبهة، إن احترام إرادة المرض (المشاركة في اختيار الحل المرضى بواسطة مستوى ما من مستويات الوجود) هو الذي يبرر ويسمح بقبول المشاركة في إرادة الشفاء، هكذا وبهذه المباشرة، والتنبية التالي بأن اختيار الشفاء صعب بهذه السرعة يجاول كشف هذه المشبهة

المقتطف:

د.جيى : باقول لك صعبة

سامح: صعبة إني أنا أخف؟؟

د.جيى : آه طبعاً ، تخف يعنى حاتلاقى نفسك يا بتروح المدرسه علشان الجيش يبقى سنتين بس، يابتروح تشتغل، وانت لاعاوز ده ولا ده، إنت عاوز ترضع وتقعدي البيت، ومع ذلك لا بترضع ولا بتاكل، ولا بتتنيل، أنا عاوز أعزم عليك إن المرض ده مانفبعشى، فياللا نشوف حاجة تنفع مع الدكتوراه الحلوه دى،

التعقيب:

الأسلوب المتبع في معظم الحالات التي تتوثق فيها العلاقة العلاجية ، (ولو من أول مقابلة) وتحسد البصيرة ، يمكن أن يعلن من خلاله فشل الحل المرضى حتى إذا كان قد حقق بعض أهدافه من الانسحاب أو التخلي ، أو بعض الأهداف الإيجابية من الاحتجاج أو التوقف عن انحرافات لم تعد ممكنة (مثل هذه الحالة) ، أقول إن كشف فشل الحل المرضى هكذا بطريقة مباشرة، هو الذي يسمح بهذه المباشرة، أعني دعوة المريض لاتخاذ قرار العلاج نحو الشفاء "عزومة الخفان"، وهذا قد يفسر استجابة المريض مع رؤيته الصعوبة .

==

ثم ينتقل الحوار إلى المنطقة الحرجة بشأن القهر المزدوج (من الداخل والخارج)

المقتطف:

د.جيى : ..بصراحة يابنى الدكتوراه داليا قالت لنا شوية حاجات كده صعبة ، لقيت نفسي صعبان علي من اللى حصل ده، صعبان علي اللى ولاد الكلب دول عملوه فيك، بقلة الأدب ديه، صعبان علي مجد

سامح: آه... آه...

د.جيى : عاوز اقف معاك يا أخی، من دلوقتي، إنت ما تقدرشى تمسح كل ده لوحك؟

سامح: أيوه صح بس هما فيه ناس منهم شغالة في المدرسه دلوقتي...، هما مش عاوزين حد ينفع، مش عاوزين أى حد ينفع إلا هما...،

د.يجيى : يا سامح

سامح: نعم

د.يجيى : أنا موجوع من الحكاية دي أوى

سامح: موجوع ؟

د.يجيى : آه

سامح: لأه ألف سلامه

التعقيب:

لم يصدق سامح أن الطبيب يمكن أن يتألم معه أو له ، وربما تصور أن الطبيب يشير إلى أله الخاص، فبادر أنه "ألف سلامة"، لكن الطبيب أكمل:

المقتطف:

د.يجيى : عارف ليه موجوع، أنا خايف أضايقك أكثر من كده، إنما حاقول لك، واللى يحصل يحصل، مايمكن يا سامح عندهم نسخه ثانية من الفيلم ده، دول ولاد كلب

سامح: آه صح

د.يجيى : مافكرتش فى الحكاية دي؟

سامح: لأه أنا فكرت فى الحكاية دي قبل كده وأنا فى الحمام باعمل حمام، حسيت إن فيه حاجة كده فى بطني

د.يجيى : حاجة إيه ؟

سامح: حسيت إن فيه حاجة كده حاتيجى بس مفيش حاجة جت

د.يجيى : حاجة إيه اللى حاتيجى

سامح: حاجة زى ولد مثلاً أو أى حاجة

د.يجيى : ولد إيه منين

سامح: ولد منهم هما الإثنين

د.يجيى : حاجيلك فى الحمام

.....

سامح: آه... حاجيلى فى الحمام ده وأنا باعمل حمام

د.يجيى : حسيت إن حاجة حاتيجى منين؟ من بطنك؟

سامح: أيوه

د.يجيى : حاتولد يعنى؟

سامح: آه

أه يا بني قدامك إننا نتصاحب، أنا باحترمك وموجوع معاك، مش مسألة صعبانية، أنا شخصيا مش فاهم إزاي باتكلم بالشكل ده، حتى بصراحة وأنا باتكلم باحاول اصدق نفسي، وعايزك تصدقني، إنت مصدقني؟

سامح: لأه

التعقيب:

واضح أن الكلام المباشر (مثل: "باحاول اقبلك، أو اصاحبك"، أو.. "أنا باحترمك وموجوع معاك")، هو مخاطرة قد تفقد الكلام قدرا من فاعليته، لكن أن يعترف الطبيب أنها مسألة صعبة، حتى أنه نفسه وهو الذي يقوله لا يكاد يصدق احتمال صدقها أو تحقيقها، ربما تكون هذه المصارحة هي التي سمحت لسامح بمواكبة الحوار، حتى أنه رفض تصديق الطبيب، سواء تصديق محاولته، أو تصديق أنه يحاول أن يصدق نفسه.

ليس من المفروض أن يبدو الطبيب أمام مريضه أنه متأكد من كل شيء (أبو العريف) إن إعلان الخبرة والصعوبة والعجز يصدق يسمح للمريض بالحركة والمشاركة بدلا من التلقي والطاعة من سلطة تبدو واثقة طول الوقت من كل شيء، حتى لو كانت علمية. ثم يستمر الحوار:

المقتطف:

د. يحيى : طيب ماشي، أنا مصدق إنك مش مصدقني، إنما اللي حصل إن وصلني إنك محترم أعمل في ده إيه ؟

سامح: لأه أنا مصدق حضرتك

د. يحيى : مصدقني إن إيه

سامح: إن حضرتك محترمي

د. يحيى: حتى لو انت كنت عاوز اللي حصل، برضه باحترمك، واللي عاجبه، (يغطس بوجهه إلى الأرض أكثر) دقيقة واحدة الله يخليك، والنبي يا سامح الله يخليك ما تبعدهش، دقيقه واحده علشان تصدق يمكن إذا ما صدقتشني كلامي، تصدق وشي

التعقيب:

هذا الطلب من المريض أن ينظر في وجه الطبيب وهو يعلن بالألفاظ أمورا صعبة، يصلح أكثر مع المرضى الذهانيين وربما صغار السن، إن التواصل في هذه المناطق الصعبة (الاحترام، والتصديق، والاعتراف، والاقتراب) يحتاج أكثر من قناة تواصل في نفس الوقت، وتبادل النظر وقراءة الوجه بعض ذلك

المقتطف:

سامح: آه صح، حتى حصل..

(ربما كان يشير إلى تساؤل الطبيب المخرج بقوله " حتى لو انت كنت عاوز اللي حصل،.....")

د.يجيى: خلاص اللى حصل حصل، إنت محترم وخلص، محترم غصين عنك، إيه رأيك؟

تعبر محترم غصين عنك، يحتاج وقفة هنا

التعقيب :

يبدأ الاحترام بالاعتراف من مصدر خارجي يمثل كيانا راعيا حازما، لكنه سرعان ما يحتاج إلى أن يحترم الشخص نفسه، أن يعتز بحقه في الوجود، في الاعتراف، فإذا تنازل الشخص عن ذلك مرغما -عادة- في البداية، ثم تنازل بالتعود، ثم تنازل للصعوبة ثم تنازل عقابا للذات كما نفترض في هذه الحالة ، فهو يحتاج أن يبدأ استعادة الاحترام من خارجه كما يحاول الطبيب هنا، وقول الطبيب "إنت محترم" ، هو نقلة من "أنا أحترمك"، ليصبح الاحترام هو حق وصفة المريض الآنية (غير المشروطة في هذا السياق) بموقف الطبيب وحده

ثم يؤكد الطبيب الجانب المحتمل أن يحل بوعى سامح إذ كيف يكون محترما، وكيف يمكن أن يحترمه الطبيب برغم ما حدث، وبرغم اعترافه الضمني أنه كان مشاركا، ويبدو أن الطبيب قد التقط هذا الظن فأكمل

المقتطف:

د.يجيى: حتى لو انت كنت عاوز اللى حصل، برضه باحترمك

(ثم) خلى بالك ، الحكاية مش شعبانية

التعقيب:

التنبيه هنا للتفرقة بين الصعابية (الشفقة) والاحترام، هو صعب أيضا، وربما يكون صعبا أصلا على الطبيب أو المعالج، ولا يكفى توضيح الفرق بالألفاظ هكذا، وإنما يمكن ممارسة الفرق بالحرس على معاملة المثل، ومواصلة الحورا بشكل أو بآخر ، الطبيب هنا يتكلم عن "الحكاية" أى عن العلاقة التي تتكون بينه وبين سامح ، لكن سامح أخذ الحكاية على أنها الخبرة المرعبة السالفة الذكر فقال:

المقتطف:

سامح: الحكاية انتهت من زمان ؟

د.يجيى: لأ ما انتهت وش ولا حاجة، الحكاية لسه جواك،

سامح: وانا ؟

د.يجيى: إنت موجوع ؟

سامح: جوايه في بطني؟

د.يجيى: لأ أنا مش باتكلم على اللى بطنك، ده حا نرجع له بعدين، أنا ما باتكلمشى عن الولد اللى خفت لينزل وانت بتحزق.

سامح: ليه؟ هو أنا فياً ولد؟

د.يحيى: مش أنت اللى بتقول؟ ما دام قلت يبقى صدق،

التعقيب:

عادة، وعند معظم الأطباء، تعامل مثل هذه المعتقدات بالنفى، (لا دا ما فيش حاجة في بطنك، ده انت بيتيهأ لك ..إخ)، لكن الأسلوب الذى ننتهجه هنا (وفى غير هنا) هو أن نبدأ بالإقرار (ليس: أن نأخذ المريض على قدر عقله) حتى لو كان المريض هنا جاهز لقبول الإقناع الظاهرى، ذلك لأن ما يشعر به المريض هو ما يشعر به، وهى لغة جسدية هنا، وترجمتها أو حقيقتها هى أنه يشعر بها، ولهذا أصر الطبيب بأن يعترف بحقيقتها، ثم يركنها على جنب كما قال

المقتطف:

سامح: حاضر يا دكتور

د.يحيى: يا رب حضرك الخير يا ابنى، الخيره اللى بتوصفها دى مش هزار، إنت حاتألف ليه؟ يبقى لازم نصدقها ونشوف لها حل، جت منين، جه، جه الإحساس ده يعنى وانت بتحزق، ماجاش من إهم لما ناموا معاك فبقى جواك ولد، يمكن جته من المخ، ولأ حاجة.

سامح: صح

د.يحيى: حانشوف لها حل سواء، بس انت عمال تقول صح صح، هوا إبه اللى صح؟

سامح: حانشوف لها حل؟

د.يحيى: سواء، باقول سواء، أنا وانت وداليا، قصدى إنت وداليا وأنا

سامح: آه حانشوف لها حل سوا

د.يحيى: مش عايزين بقى حكاية محروج وعاوز افطر وبتاع، مش كل ما نقرب تبعد، وتقول عايز افطر.

د. يحيى: وعشان ماكذبش عليك، الحكاية صعبة قوى

التعقيب:

بديهى ألا نأخذ موافقة سامح هكذا كأنها موافقة حقيقية، موضوعية، ربما هو يوافق لعدم الفهم، وربما هو يوافق من باب الطاعة، وربما هو يوافق لمجدسه الذهان الأقوى، وربما هو يوافق للحرس على استمرار العلاقة البادئة، لهذا، فإن تدارك الطبيب بالتأكيد على صعوبة المشورا جاء هنا للتنبيه على احتمال أن تكون الموافقة سطحية أو لعلها موافقة على شىء آخر، ثم إن المبادرة بتوضيح الصعوبة برغم موافقة سامح، هى لتؤكد أن المهمة ليست مهمته وحده، ولا هى مهمة الأطباء فقط، لكنها مهمة مشتركة، وكل هذا يشير إلى هذا النوع من العلاج الذى يشترك فيه المريض إيجابيا، ومن البداية،

ثم يتواصل الحورا من سامح معلقا على أن "الحكاية صعبة قوى "

المقتطف:

سامح: هؤا أنا صعب ؟

د.يحيى: لا إنت مش صعب، اللي احنا بنعمله ده هوه اللي صعب صعب

سامح: صعب أوى، صعب أوى أوى ؟

د.يحيى: أوى

سامح: يعنى ممكن ما يخلصشى على طول؟ ياخذ وقت؟ طب ياخذ وقت يعنى أنا أقعد فى المستشفى كتير؟

د.يحيى: لا لأ مش المسألة المستشفى؟ الصحوبيه والاحترام هما اللي صعب، اللي بنقوله ده بياخذ وقت على ما نصدق، وعلى ما نستعمله، وعلى ما نستفيد منه، بياخذ وقت يا سامح،

التعقيب :

التأكيد على الوقت والتوقيت هنا شديد الأهمية حتى لا تصبح المسألة مناقشة وإقناع، العلاج هو عملية إعادة تشكيل وليس فقط إعادة تأهيل، هو بداية لرحلة نمو جديدة، وكل نمو يحتاج لوقت ممتد.

.....

.....

المقتطف:

سامح: أنا حاقول للدكتورة داليا إيه

د.يحيى: قول لها أى حاجة ، بس تبص لها زى ما بتبص لى، ولما تيجى تكلمنى تبصلى، ولما تيجى تكلمها تبص لها، يبقى بتحرك راسك ما بينى وما بينها، ناحية اللي بتكلمه، يبقى ابدينا،

سامح: ما انا مش عارف أقول إيه للدكتوراه داليا

د.يحيى: أنكشيه يا دكتوراه داليا، زى ما انا بانكشه، هو انا صعب إن أنا أحرك فيكى الاحترام اللي باحكي عنه ده، مع إنه (حاجة طبيعية) خلقة ربنا، أصل أخاف أطلبه منك يطلع لى حب مالى بدأتى بيه، وصعبانية وشفقة وكلام من ده، مش ده اللي سامح محتاجه بصراحة، أنا مش رافض المشاعر دى، بس مش هى اللي هيه هنا ودلوقتى، انا كل شويه أشك فى نفسى، وأخاف لاكون باكذب وإن مش قد الكلام ده، عارف يا سامح أنا باحترمك ليه، عشان : أول حاجة خلقة ربنا، وتانى حاجة عشان إنت مكافح.

التعقيب :

في التدريب، لا ينبغي أن ينبه المتدرب على نوع المشاعر الأصلى للعلاج، لأنها لا تستدعى بالأمر، ولا هى موقف أخلاقى، وهذا التنبيه من الأستاذ للزميلة الأصغر يتضمن اعتراف الأستاذ بشكه حتى فى تلقائية مشاعره هو، مما قد يشجع الزميلة المتدربة ألا تبادر بالتقمص أو الزعم - لا شعوريا- بما لا تعيشه فعلا، ثم إن الطبيب قد التفت إلى المريض مباشرة دون أن ينتظر تعليقا من المريض، لشرح أكثر لما وصله من محاولة سامح مقاومة القهر الخارجى، والداخلى، بالمرض.

المقتطف:

د. يحيى: عارف يا سامح أنا باحترمك ليه، عشان : أول حاجة خلقة ربنا، وتانى حاجة عشان إنت مكافح.

سامح: أنا مكافح ؟؟؟!!

د. يحيى: إنت صحيح خايب فى المدرسة، وخايب فى الشغل

سامح : امال مكافح فى إيه بقى؟

د. يحيى: بصراحة فى إنك عييت، يعنى بعد الإهانات دى واللى حصل، والرغبة، والرعب، والتهديد، قمت رافضها كلها حتى بالعياء .

سامح: آه

د. يحيى: أه إيه يا شيخ، هوا الحكاية إيه، دانا باقول الكلام ده، زى ما اكون أنا نفسى مش فاهم قوى، تقوم تقول آه ؟

التعقيب:

اعتراف آخر من جانب الطبيب بالحيرة، وتحفظ معلن خوفا من الموافقة السطحية من المريض، دون رفض احتمال موافقته الفعلية

المقتطف:

سامح: يعنى أستمر فى الحكاية اللى أنا فيها دى

د. يحيى: لأه الحكاية الوسخة، لأ، طبعاً، ما انت ما اقدرتش تستمر، فيه ناس بيستمروا، وما بيعيوش

سامح: آه

د. يحيى: إنت رحت عيان، فبيتهيأ لى العيا ده هو اللى أنقذك، تبقى مكافح ولا لأه؟ بس الحكاية تبقى صحيح كفاف لو كملنا سوا سوا، إنت مكافح عملت حاجه جوه وبره، جوه وبره، قعدت تحارب جامد، وبعدين تعبت اكسرت، إنما ما استسلمتش، لا للى جوه، ولا للى بره .

التعقيب :

مرة أخرى: يُظهر هذا المقطع أسلوب المواجهة بطرح فروض الإمرائية (السيكوباثولوجي) على المريض مباشرة، وباللألفاظ، وهو أمر غير مضمون النتيجة، ولا نعرف قدر ما يصل منه للمريض، لكنه عموماً لا يضر، وقد يصل بعضه، أو ينفج مؤخرًا حين نعود إليه، تساؤل سامح التالى يدل على أنه لم يلتقط حكاية "بره و جوّه"، فسأل :

المقتطف:

سامح: جوّه وبره في الشارع ؟

.....
.....

يستمر الحوار حتى يعيد الطبيب شرح ما يقصده من جديد قائلا :

.....

د.يحيى: بصراحة (يا سامح إنت مكافح) في إنك عيبت، يعنى بعد الإهانات دى واللى حصل، والرغبة، والرعب، والتهديد، قمت رافضها كلها حتى بالعبا .

.....

ثم يتطور الحوار حتى يتساءل سامح عن السبيل للخروج من ورطة المرض:

سامح: ياه بس أنا أطلع منها ازاى؟ ده أنا على كده ممكن ماطلعش؟

د.يحيى: لأه، عندك، ما دام ربنا موجود، وعايذنا زى ما خلقنا، يبقى حاتطلع ونص، يبقى لازم حاتطلع ميه ميه، أصل ربنا ده بيحب الخير، وإننا نرجع زى ما خلقنا

سامح: ربنا يقول للشئ كن فيكون

د.يحيى: بس بيهياً الأسباب، واحنا أسباب، مش كده ولا إيه؟

سامح: آه بيهياً الأسباب، يعنى واحد زى حضرتك يكون سبب لشفايا والدكتورة داليا والدكتور عمرو ودكتور أسامة تقريباً وكل الدكاتره الموجودين

د.يحيى: وانت وانت، إنت تكون سبب في شفاك

سامح: أنا أكون سبب في شفايا؟

د.يحيى: بس كده بقينا فرقة، خمسة اهم باسم الله ماشاء الله، رايح فين بقى ما دام ربنا بيحب الخير وبهياً الأسباب بقينا خمسة، مش واحد ولا اثنين، يبقى ما تقدرشى ترقد في الخط بقى.

سامح: ما اقدرشى

د. يحيى: حمد الله عا السلامة

(برجاء - لمن شاء - قراءة نهاية الحوار مع سامح، حيث كانت هذه الجملة الأخيرة نوعا من محاولة تثبيت أى قدر يعلن "بداية" رحلة الشفاء)

وبعد

في الحلقة الأخيرة (الثلاثاء القادم) سوف نعرض لبعض ما جاء في المناقشة التي دارت بعد المقابلة

ثم التعقيب العام

كما نرجو أن نربط بين جانب من هذه الحالة وبين حالة التدريب عن بعد التي عرضناها الأسبوع الماضي الأحد-12-28
2008

ديسمبر 2008 : أسبوع 4



إصدارات شبكة العلوم النفسية العربية

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف 2008

أ. د. يحيى الرخاوي

- أستاذ الطب النفسي: كلية الطب، جامعة القاهرة
- كبير مستشاري دار المقطم للصحة النفسية لشخصيات
- رئيس مجلس إدارة جمعية الطب النفسي التطويري والعمل الجماعي

**الأبحاث النفسية**

- عيد الأبحاث وأوراق بالإنجليزية و عيد الفروض والنظريات والمداخلات بالعربية إضافة إلى عيد أبحاث الدكتوراه والمجستير التي قام بها وأشرف عليها ومشاركته عبيد الندوات والمؤتمرات العلمية والعالمية

المؤلفات

- حيرة طبيب نفسي - المشي على الصراط (ج1 الواقعة ج2 مدرسة العراة) - مقدمة في العلاج النفسي الجمعي - دراسة في علم السيكيوباتولوجي (شرح : سر اللعبة) العمل المحوري الذي يمثل تنظيره للأمراض النفسية والسيكيوباتولوجيا - أغوار النفس - حكمة الجانين - النظرية التطورية الإيقاعية وأساسيات من علم النفس (تشمل الخطوط العامة للنظرية النفسية البيولوجية لمؤلف) - قراءات في نجيب محفوظ - مثل.. وموال - مراجعات في لغات المعرفة - مواقف النفري بين التفسير والاستلهام - ترحلات يحيى الرخاوي (ثلاثة أجزاء) - مبادئ الأمراض النفسية - علم النفس في الممارسة الطبية - علم النفس تحت المهرج - (ألف باء. الطب النفسي - حياتنا و الطب النفسي - حيرة طبيب نفسي - عندما يتعري الإنسان - دليل الطالب الذكي في علم النفس والطب النفسي: 3 مجلدات - أفكار وأسمار حول القصر العيني - البيت الزجاجي والثعبان. (شعر) - اللغة العربية والعلوم النفسية الحديثة - المفاهيم الأساسية للطب النفسي- الطب النفسي للممارس - قراءات في نجيب محفوظ- مثل.. وموال قراءة في النفس الإنسانية - رباعيات ورباعيات - هيا بنا نلعب يا جدي سويًا مثل أمس - تبادل الأقنعة - أصداء الأصداء

الانتماء إلى الجمعيات النفسية

- عضو الجمعية المصرية للصحة النفسية
- عضو مؤسس للكلية الملكية للأطباء النفسيين
- رئيس التحرير المشارك المجلة المصرية للطب النفسي.
- رئيس تحرير مجلة الإنسان والتطور -مستشار النشر بالهيئة العامة للكتاب
- مسئول التحرير المشارك للمجلة العربية للطب النفسي

إصدارات شبكة العلوم النفسية العربية

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف 2008

العلم والتكنولوجيا

